العلمانيـــــة

وموقف الإسلام منها

د / أحمد مصطفى على

العلمانية وموقف الإسلام منها

الحمد لله رب العالمين ، نحمده حمد العارفين ، ونشكره شكر المؤمنين القانتين على نعمه الظاهرة والباطنة علينا وعلى عباده الذين اصطفى لحمل رسالته والدعوة لدينه وبيان كلمة الحق وإظهارها ، ونسأله العون والسداد والتوفيق والرشاد ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صفوة خلق الله أجمعين وخاتم النبيين وإمام المرسلين بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ومحى الضلالة ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى الأنبياء والمرسلين أجمعين إلى يوم الدين .

وبعد

فإن سلسلة التآمر على الإسلام ليست وليدة اليوم بل هى قديمة قدم دعوة الحق ، فمنذ أن بزغ نجم الإسلام وتلألأ نجمه وعلا سلطانه وأعداؤه يحيكون الفتن والمؤامرات ضد هذا الدين محاولين النيل منه والتشكيك فى عقيدته وهدمه فى قلوب المسلمين قال تعالى [يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون][1] .

فقد حاولوا أن يطفئوا نور الله بكل ما أوتوا من قوة وبذلوا فى ذلك كل نفس ونفيس ، وأبى الله إلا أن تعلو كلمة الحق ، وقد صدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول [إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون][2] .

وإن الصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشر قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

[1] سورة التوبة آية ٣٢

[2] سورة الأنفال آية ٣٦

ومن أكبر المؤامرات على الإسلام ، المؤامرة العلمانية فهى من أخطر معارك الهدم للإسلام ، تهدف إلى تقويض دعائم الإسلام ، وتحويله إلى أفكار ومعتقدات فاسدة وإلى الكيد للإسلام وأمته ، وتوجه حرابها الفتاكة إلى الشباب حتى تتمكن من احتوائهم وفرض أفكارهم الفاسدة عليهم حتى أصبحت الخطر الذى يهدد الإسلام بهدف القضاء عليه بأساليب منها استحداث أفكار ليست منه أو إدخال مفاهيم جديدة عليه ناسية أو متناسية أن الإسلام متكامل الأجزاء يفسر بعضه بعضاً مما يستحيل معه الإدعاء عليه مما ليس فيه أو منه .

ولما كان لهذه النحلة من أثر سيئ وخطر داهم على الإسلام ، لذا أردت أن ألق الضوء عليها وعلى عقائدها ومبادئها التى تحاول غرسها فى البيئة الإسلامية لأكشف عن حقيقتها ونواياها الخبيثة فى تضليل المسلمين عن عقيدتهم وشريعتهم السمحة ، ومبيناً موقف الإسلام منها ليكون أبناء الإسلام على دراية كاملة بها ، حتى لا يقعوا فريسة فى شباك دعاتها وتستهويهم أفكارها الفاسدة .

مفهوم العلمانية :

العلمانية فى مفهومها الصحيح ، تعنى الدعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين ، وهى نظرية تقرر أن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية ، وهى حركة اجتماعية تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب .

ويحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس ويزعم أن المراد بالعلمانية هو الحرص على العلم التجريبى والاهتمام به ، وهذا الزعم مردود لأنه لا علاقة للعلمانية بالعلم كما حقق العلماء والباحثون فى ذلك[1] .

والعلم التجريبى الذى يدعون الانتساب إليه يقصر دائرة مجاله على علوم الطبيعة الرياضية أو بمعنى آخر على تفسير ظواهر الأشياء .

بينما الفلسفة تحاول تفسير العالم والحياة والمجتمع وتتخذ من العقل أداة لها .

---

[1] قضايا معاصرة فى ميزان الإسلام / حمد حسن رقيط ص ١٥ ط : ابن حزم

والعلمانية كمذهب أو تيار فلسفى تعتمد فى تثبيتها الأسياسية على المبادئ الفلسفية الأخلاقية التى استوحاها مؤسسيها ودعاتها من مذهب المنفعة فهى إلى الفلسفة أقرب منها إلى العلم .

فهى تؤمن بضرورة هيمنة العقل على الحياة وتدعو إلى الحرية المطلقـــة . كمـــا تؤمن بإمكانية إقامة الحياة على أسس لا تتصل بالدين[١] .

ونسبة العلمانية إلى العلم نسبة خاطئة تنطوى على الخداع وفيها مغالطة وتضليـــل وتزييف الحقائق وإن نطقها بكسر العين وسكون اللام ترجمة ركيكة قام بها بعض نصـــارى الشام .

فالعلمانية مصطلح غربى على سبيل التمويه حيث يظن البعض أن مصـــدره العلـــم بينما هو يعنى اللادينية وجانب الخديعة فى هذا التعبير أنه يوحى بأن له صلة بالعلم بينمـــا الحقيقة غير ذلك[٢] .

والنطق الصحيح لهذه الكلمة العلمانية بالفتح كما أن الكتابة الصحيحـــة لـــها هـــى العالمانية بوضع ألف لعد العين .

وتنسب العلمانية ــ على غير قياس ــ إلى العالم ، أو العالمية ، وهى نظـــام مـــن المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينى والعبادة الدينية[٣] .

والترجمة الصحيحة للعلمانية هى " اللادينية " أو " الدنيويـــة " وتتضـــح الترجمـــة الصحيحة من التعريف الذى جاء فى دوائر المعارف الأجنبية للكلمة حيث جاء فـــى دائـــرة المعارف الأمريكية : العلمانية نظام يقوم على مبادئ الأخلاق الطبيعية وليـــس لـــه صلـــة بالديانات السماوية[٤] .

---

[١] العلمانية وعلاقتها بالدين والعلم أ. د/ جميل محمد أبو العلا بحث مجلة كلية أصول الدين العدد الخامس.

[٢] تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة ــ أنور الجندى ص ٣٢ ط : دار الاعتصام .

[٣] العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق د / محمد البهى ص ١٦

[٤] العلمانية وعلاقتيا بالدين والعلم د / محمد جميل محمد أبو العلا ص ٤ مرجع سابق

وجاء فى دائرة المعارف البريطانية أن العلمانية هى " حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها[١] .

وجاء فى قاموس العالم الجديد لوبستر شرحاً لمادة الكلمة نفسها أنه تعنى :

١ــ الروح الدنيوية أو الاتجاهات الدنيوية وعلى الخصوص هى نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أى شكل من أشكال الإيمان والعبادة .

٢ــ الاعتقاد بأن الدين والشئون الكنسية لا دخل لها فى شئون الدولة وخاصة التربية العامة[٢]

ويشرح معجم أكسفورد معنى العلمانية فيقول :

١ــ دنسوى أو مادى ليس دينياً ولا روحياً مثل التربية اللادينية الفن أو الموسيقى اللادينية السلطة اللادينية الحكومة المناقضة للكنيسة .

٢ــ الرأى الذى يقول : أنه لا ينبغى أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية[٣] .

وجاء فى المعجم الدولى الثالث الجديد العلمانية : مذهب أو اتجاه فى الحياة أو فى أى شئ خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تدخل فى الحكومة أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً فهى تعنى مثلاً السياسة اللادينية البحتة فى الحكومة[٤] .

هذه هى معانى العلمانية وشروحها حسب ما أوردته معاجم الغرب وتتلخص معانى التعريفات فى الآتى :

١ــ اللادينى .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية نقلاً عن الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه د / يوسف القرضاوى ص ٤٩ ط : مؤسسة الرسالة .

(٢) قاموس العالم الجديد لوبستر نقلاً عن العلمانية نشأتها وتطورها سفر الحوالى ص ٢٢

(٣) معجم أكسفورد نقلاً عن العلمانية نشأتها وتطورها سفر الحوالى ص ٢٣

(٤) المعجم الدولى الثالث الجديد نقلاً عن الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه د / يوسف القرضاوى ص ٥٠ ط : مؤسسة الرسالة .

٢ــ الإلحاد .

٣ــ المادية أى الإيمان بالمادة المحسوسة فقط ورفض الإيمان بالغيب .

٤ــ إبعاد الدين عن التوجيه فى مجالات التربية والأخلاق وشئون الدولة .

٥ــ المحاولة الجادة لصرف الناس عن العمل بالآخرة وقصر كل اهتمامهم بملذات الحياة الدنيا .

هذه هى معانى العلمانية فى الغرب وأصولها عندهم يؤكد عدم صلتها بالعلم ، ويجب على كل مسلم أن يعلم أنه لا علاقة لكلمة العلمانية بالعلم ، وأن المعنى الحقيقى لها يكمن فى إسقاط الدين من توجيه شئون الحياة الدنيا ، وهذا هو المفهوم السائد فى أوربا الغربية ، والبلاد التى ترفع شعار الشيوعية أو تدعو إليها .

والعلمانى : هو : من يتعلق بالحياة الدنيوية ، ولا يجد لها تفسيراً إلا فى المادة ، ولا يقدس الدين ولا الأعمال الدينية ، ولا يتعلق بحياة وراء هذه الحياة الدنيا[١] .

وبالجملة فالعلمانية مذهب من مذاهب الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة ، يدعو إلى عزل الدين عن أن يكون إطاراً أو ضابطاً فى النشاط الدنيوى[٢] .

فالعلمانية لا صلة لها بالعلم وأنها تعنى فى لغة الغربيين وعرفهم " اللادينية " والذى يؤكد ذلك أن دائرة المعارف البريطانية قد أتت بالحديث عن العلمانية ضمن حديثها عن الإلحاد حيث جعلت المذهب العلمانى لوناً من ألوان الإلحاد الذى قسمته إلى قسمين :

١ــ إلحاد نظرى وهو جحود وجود الله نظرياً أى يكتفى بإنكار وجود الله فى نفسه فقط .

٢ــ إلحاد عملى يقوم على إنكار وجود الله عملياً . أى يتتبع إنكار وجود الله فى نفسه بعمل كأن يدعو لفكرته هذه ويحث الناس عليها ، فلا لعلاقة لكلمة العلمانى بالعلم ، إنما علاقتها قائمة بالدين ولكن على أساس سلبى ، أى على أساس نفى الدين والقيم الدينية عن الحياة .

---

[١] حقائق الإسلام بين الجهل والجحود / عبد المجيد صبح ص ٤٥٨ ط : دار الوفاء .

[٢] الإسلام والسياسة والرد على شبهات العلمانيين د / محمد عمارة ص ٨ ط : دار الرشاد .

وأولى الترجمات لها فى العربية أن نسميها " اللادينية " بصرف النظر عن دعوى " العلمانية " فى الغرب بأن العلمانية لا تعادى الدين إنما تبعده فقط عن مجالات الحياة الواقعية : السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والفكرية .. الخ ز ولكنها تترك للناس حرية التدين بالمعنى الفردى الاعتقادى على أن يظل هذا الدين مزاجاً شخصياً لا دخل له بأمور الحياة العلمية ، إن العلمانية تهدف إلى نبذ الدين وإقصائه عن الحياة العملية[١] .

فالعلمانية عاشت فى مجتمعين : مجتمع يحتفظ بالكنيسة على أنها مؤسسة مجمدة ، والمجتمع الآخر يهدم الكنيسة ويرفضها وهى العلمانية الملحدة أو الماركسية ، فالمجتمع الماركسى هو مجتمع علمانى لا لأنه يفصل الدين عن الدولة ، بل لأنه يحارب الدين لصالح الدولة باعتبار أن الدولة أخذت فى ظل النظام الماركسى أكبر حالات التضخم .

الدولة فى المجتمع الماركسى ألغت وجود الدين وألغت وجود الفرد ، وأصبحت هى التى تملك كل شئ ، ومن هنا يمكن أن نقول إن العلمانية قسمان : علمانية ملحدة وهى التى سقطت أخيراً فى واقع السياسة العالمية ، وذلك بانهيار الاتحاد السوفيتى ، وعلمانية محايدة للدين ... وهى التى تفصل الدين عن الدولة فتخص الدين بشعائره وطقوسه وتنفرد هى ببقية شئون الحياة[٢] .

والعلمانية والتحررية كلاهما مذهبيان أوربيان مناهضان للدين برزا فى القرن السابع عشر وسرت عدواهما إلى العرب والمسلمين والشرق على وجه العموم حيث نظروا بعين الوهم من أعماق ضعفهم إلى الغرب فى ذروة تفوقه فظنوا أن كل ما يصدر عنه حق وجميل.

ويلتقى المذهبان عند الدعوة إلى الاعتماد على الواقع الذى تدركه الحواس ونبذ كل مالا تدركه التجربة والتحرر من العقائد الغيبية التى هى عندهم ضروب من الخيال والأوهام[٣] .

---

[١] مذاهب فكرية معاصرة / محمد قطب ص ٤٤٥ ط : دار الشروق .

[٢] أفاعى العلمانية وأحاديث الإفك / سامى نجيب ص ١٧٣ ط : دار التوزيع والنشر الإسلامية .

[٣] اتجاهات هدامة فى الفكر العربى المعاصر د / محمد محمد حسين ص ١٩ ط : دار الرشاد بيروت .

نشأة العلمانية :

قد نشأت العلمانية فى الغرب ــ إبان نهضته الحديثة ــ كرد فعل لحكم الكنيسة وتحكمها ، عندما حول هذا الحكم الكنسي شئون الدنيا إلى كهنوت دينى مقدس ، الأمر الذى أدى إلى ثبات المتغيرات الدنيوية ــ الفكرية والعملية ــ فدخلت المجتمعات الغربية بسبب هذا الحكم الكهنوتى فى عصور التخلف والجمود والظلام ، حتى جاءت العلمانية كرد فعل داعية إلى عزل الدين عن شئون الدنيا .

وقد بدأت تظهر معالم العلمانية كتيار فلسفى فى القرنين السابع والثامن عشر على يد مجموعة من الفلاسفة أمثال الفيلسوف الإنجليزى " جون لوك " و " ديفيد هيوم " و " توكى هوبز " و " ليبنز " وغيرهم[١] .

حيث انطوت فلسفتهم على ضرورة فصل الدين عن الدولة مع قصر السيادة على سيادة الدولة فقط ، وترك حرية الاعتقاد لمن يريد بشرط ألا تؤثر هذه الحرية على سيادة الدولة ، وذلك عندما رأى هؤلاء الفلاسفة أنه لابد من الثورة على الكنيسة للتخلص من معوقات النهضة .

فالعلمانية إحدى ثورات العقل المسيحى ضد سلطة الكنيسة . لأن الكنيسة تحكمت فى عقول الناس وسخرتهم لإرادتها وحددت لهم الطريق الذى يعملون فيه ، وحظرت عليهم النظر فى مظاهر الكون ، والتأمل فى أحداثه ، وقد سجن " روجر بيكون " مدة طويلة رغم حماسته الدينية لمجرد نزوعه الطبيعى للبحث العلمى ، واعتبرت الكنيسة علم الكيمياء فناً شيطانياً خبيثاً .

ووقفت الكنيسة حائلاً ضد أى اكتشاف علمى لا يتفق مع تعاليمها ، ومن ذلك نظرية دوران الأرض حول الشمس الذى كشف عنها " كوبر نيقوس " وقررت الكنيسة الكاثوليكية أن الاقتراح القائل بدوران الأرض حول الشمس حماقة وسفه وزيف فى علم اللاهوت[٢] ووضعت كتاب " كوبر نيقوس " فى قائمة الكتب المحرمة ، وأدينت جميع الكتابات التى تؤيد حركة دوران الأرض حول الشمس .

---

(١) العلمانية ونهضتها الحديث د / محمد عمارة ص ١٣،والعلمانية وموقفها من العقيدة والشريعة ص ١٢

(٢) حقيقة العلمانية د / يحيى هاشم ص ١٣

وظنت الكنيسة أن هذه النظرية قد انتهت ، ولكن رجلاً آخر هو " برونو " قد بعث النظرية بعد وفاة صاحبها فقبضت عليه محكمة التفتيش وزجت به فى السجن ست سنوات فلما أصر على رأيه أحرقته وذرت رماده فى الهواء وجعلته عبرة لمن يعتبر .

ثم جاء بعده " جاليليو " الذى أيد تجريبياً ما نادى به أسلافه من دوران الأرض حول الشمس فقبض عليه ، وحكم عليه بالسجن سبع سنوات ولما خشى على حياته أن تنتهى بالطريقة التى انتهى بها " برونو " أعلن ارتداده عن رأيه قائلاً :

أنا جاليليو أرفض والعن وأحتقر القول الإلحادى الخاطئ بدوران الأرض[١] .

ومع ذلك فلم يكد القرن السابع عشر يستهل حتى كان لنظرية " كوبر نيقوس " وما أضاف إليها " برونو " و " جاليليو " أثار واسعة ظلت راسخة فى الفلسفة الأوربية العامة ، فقد أفقدت الكثيرين ثقتهم فى الكنيسة ، وأدت إلى التشكيك فى سلامة معلوماتها[٢] .

ولكنه قد قامت قيامة الكنيسة ورجالها الذين كفروا العلماء وحرموا نظرياتهم ، وصادروا كتبهم واستحلوا دماءهم وأنشأوا محاكم التفتيش التى أحصت على الناس أنفاسهم وارتكبت من الجرائم الشنعاء ما يندى لها جبين الإنسانية فقد عاقبت هذه المحاكم ثلاثمائة ألف وأحرق اثنان وثلاثون ألفاً أحياء[٣] .

وفى عهد قسطنطين وخلفائه كانت العلوم تعتبر نوعاً من السحر أو الخيانة وكانت النزعة الدينية نحو كراهية العلوم العقلية هى التى عبرت عن نفسها خير تعبير بالمثل القائل " الجهل أبو الإخلاص لله " وها هو البابا " غريغوروس " الكبير يؤيد هذا المثل فينفى من روما جميع المشتغلين بالدراسات ويحرق مكتبة بلاتين[٤] .

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة / توفيق الطويل ص ٢٠٥

(٢) العلمانية نشأتها وتطورها سفر الحوالى ص ١٥٢

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / السيد أبى الحسن الحسينى الندوى ص ١٧٥ ، ١٧٦ ط : مكتبة الدعوة بالأزهر ـ بتصرف .

(٤) الله أو الدمار للأستاذ لطفى جمعة ص ٤ ط : القاهرة

ولم يقتصر دور الكنيسة على الحجر على العلماء فقد بل امتد سلطانها إلى الطغيان الدينى والإرهاب فى أبشع صوره ، وأدعت حقوقاً لا يملكها إلى الله مثل حق الغفران ، وحق الحرمان ، ولم تتردد فى استعمال هذه الحقوق واستغلالها ، ففرضت على الناس صكوك الغفران بحجة أن الكنيسة تغفر الذنوب ، وصكوك الغفران لا مخلص للشخص المذنب فى نظر الكنيسة غيرها ، كما أصبحت هذه الصكوك تباع فى الأسواق لمن يطلبها كما تباع أسهم الشركات والبنوك والمؤسسات ، وأما حق الحرمان ــ أى من الاقتراب من الكنيسة التى كانوا يعتقدون أن فيه الرحمة ــ فكان عقوبة معنوية بالغة وشبحاً مخيفاً للأفراد فقد تعرض به كل من فردريك ، وهنرى الرابع الألمانى ، وهنرى الثانى الإنجليزى ، ورجال الدين المخالفين من أريوس حتى مارتن لوثر ، والعلماء والباحثين المخالفين لآراء الكنيسة من برونو إلى أرسنت رنيان ، وأضرابه كما حجر الكهنة والقساوسة والرهبان على الناس النظر فى الكتاب المقدس أو تفسيره ، وحصروا مهمة ذلك فيهم وجعلوها حكراً عليهم ونصبوا من أنفسهم أنه الصفوة ذات الفهم الراقي .

ومن هنا كان رد الفعل عنيفاً إذ تبينت الحضارة الأوربية فصل الدين عن الدولة فى الحياة الاجتماعية والسياسية ــ كما تغلغلت روح الإلحاد والتحلل عن قيود الدين فى أسلوب المفكرين وفى علومهم وآدابهم وفلسفتهم .

وتحولت فلسفة الحياة فى أوربا إلى فلسفة مادية بحتة ، وأنتهى ذلك الصراع بين العلم والكنيسة بانفصال كل منهما عن الآخر .

للعلم ومقولاته رجاله ، ولهم فى مجال العلم أن يقولوا ما يشاءون دون أن يكون حق مؤاخذتهم بما يقولون ولو كان الكفر والإلحاد .

واقتصر دور رجال الدين والكنيسة فى أحسن أحوالهم على تلك الطقوس الدينية التى يباشرونها فى الكنيسة بلدى روادها وهم قلة وبذلك سيطرت المادية على الحياة العامة فى أوربا[1] .

---

[1] من صور الغزو الفكرى للإسلام د / سلطان عبد المجيد سلطان ص ١١٣

تلك هى الأرض السبخة التى أنبتت العلمانية فى أوربا ، وللغرب عذرهم فى تـــرك النصرانية وهجرها واختيار العلمانية ، وفصل الدين عن الدولة لأن الكنيسة تحكمـــت فـــى عقولهم ، بل وألغت هذه العقول لأنها كانت تخشى كل ما تعتبره دخيلاً على الكتاب المقـدس ، واعتبرت الكتاب المقدس كافياً لجميع العلوم ، وكافياً للدنيا والآخرة ولرجـــال الكنيســة وحدهم حق تفسيره وتأويل نصوصه ، وبناء على ذلك فقد بث القديسون فى نفوس أتباعهم الخزعبلات والخرافات وكثير من الأوهام والأباطيل لأنهم يمثلون الله فى الأرض ومن حقهم تعذيب من يقاوم أفكارهم .

وقد أعلنت الكنيسة أن لها أسرار تتصل بأمر الدين والعقيـــدة وأن هـــذه الأســـرار مقدسة وأنها غير خاضعة للمناقشة أو حتى مجرد التفكير فيها وأن الإيمان بالله لا يتـــم إلا بالإيمان بتلك الأسرار وأن مفتاح هذه الأسرار لا تملكه إلا الكنيسة وحدها وأن الكنيسة لـــن تعطى هذا المفتاح إلا لمن تختار . ومن العجيب أن الكنيسة قد اعتـــبرت المناقشـــة لـــهذه الأسرار أو الشك فيها كفراً[١] .

وقد أصدر البابا نقولا الأول بياناً قال فيه " إن ابن الله أنشـــأ الكنيســـة بـــأن جعـــل الرسول بطرس أول رئيس لها وأن أساقفة روما ورثوا سلطان بطرس فى تسلسل مســـتمر متصل وكذلك فإن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكـــون لـــه الســـيادة العليـــا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاماً كانوا أو محكومين[٢] .

وفى القرون الوسطى[٣] ما رست الكنيسة ذلك السلطان بالفعل ولكن سلطان الكنيسة أخذ يتداعى فى نهاية القرون الوسطى .

ومن أسباب نشأة العلمانية أيضاً الثورة الفرنسية ففى أواخر القرن الثـــامن عشـــر الميلادى لم يكتف خصوم الكنيسة بلغة الفكر والعلم فحولوا الصراع إلى صدام مسلح وكانت

---

[١] مذاهب فكرية معاصرة / محمد قطب ص ٣٣

[٢] قصة الحضارة / ول ديورانت ج ١٤ ص ٢٥٢

[٣] فترة محصورة بين القرن الرابع الميلادى والخامس عشر الميلادى " حضارة أوربا فى العصور الوسطى د / محمود سعيد عمران ص ١ ط : بيروت .

الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م تعلن غضبتها العارمة على أساليب القمع والاضطهاد والتنكيل وعلى سحب الجهل التى خيمت على ربوع البلاد والطغيان الكنسى بكل صوره الدينى والروحى والسياسى والمالى والاجتماعى ولم يكن المستهدف من قيام الثورة القضاء على سلطان الكنيسة وحدها بل كان ملوك الإقطاع وأئمة الاستبداد السياسى من الأهداف التى قامت الثورة من أجلها .

وقد حققت الثورة أهدافها ودخلت أوربا فى عصر النهضة بعد طول ظلام ، وأزاحت الكابوس الذى كان جاثماً على صدرها وسقط سلطان الكنيسة إلى الأبد ... وحلت الجمعيات الدينية وسرحت الرهبان والراهبات ، وصادرت أموال الكنيسة وألغت كل امتيازاتها وحاربت العقاد الدينية علناً وعلى رؤوس الأشهاد وأصبح رجال الدين موظفين مدنيين لدى الحكومة[١].

وفى هذا الجو المشحون بالاضطرابات الفكرية والسخط العام نشأت العلمانية لتحقق مبادئها التالية :

١ــ رفض اعتبار الدين أساساً للحياة .

٢ــ رفض الدين كأساس من أسس القومية .

٣ــ الاعتماد على الواقع المحسوس فقط .

٤ــ رفض الإيمان بالغيب ، وهو الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر .

٥ــ دراسة الإنسان والمجتمع كدراسة الماديات .

٦ــ الكون مستقل بنفسه ، ويصرف نفسه بنفسه لا خالق له[٢] .

تلك هى المبادئ التى ينادى بها دعاة العلمانية وهى مبنية على إقامة الحياة على أساس مادى وتطبيق مبدأ النفعية وأن الغاية تبرر الوسيلة وتقوم على الإباحية والفوضى واللا أخلاقية والتحرر من قيود الدين ، والزعم بأن كل الأديان لا تتلاءم مع الحضارة وتدعو إلى التخلف .

---

[١] الإسلام فى مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة د / عبد العظيم المطيعنى ص ٨٣ ، ٨٤ ط : السعادة

[٢] سقوط العلمانية ــ أنور الجندى ص ٣١

موقف الإسلام من قضايا الطغيان الكنسى

إن هذا الطغيان الذى مارسته الكنيسة وكان من أسباب نشأة العلمانية لا وجود لـــه فى الدين الإسلامى ، لأن الإسلام يمقت الطغيان وينهى عنه فى كل شأن من شئون الحياة ، ويأمر الناس بالعدل فى كل شئ من أمور الدين والدنيا قال تعـالى [إن الله يـأمر بـالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون][١].

وقال تعالى [لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النـاس بالقسط][٢] .

وقال تعالى [فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير][٣] .

فالطغيان الدينى : ذلك الذى يحتكر تعاليم الدين ويحرق الوحى المنزل من السماء ، ويسـير الجيوش الصليبية لسحق المخالفين لهم ويقيم محاكم التفتيش ليحصى على الناس أنفاسـهم لم يوجد له نظير فى تاريخ الإسلام .

والطغيان الفكرى والعلمى : ذلك الذى وقف حجر عثرة فى سبيل رقى البشرية وأقام محاكم التفتيش لإحراق العلماء أحياء وطارد الباحثين والتجريبين كما تطارد الشـرطة عصابـات الحشاشين ، وصفد العقل البشرى بأغلال التعصب والجمود ، وكفر الناس لأنهم اكتشفوا ما يعينهم على فهم بعض حقائق الوجود ، وقضايا الطبيعة .

هذا الطغيان الرهيب لا وجود له فى الإسلام ، ولا يمكن أن يوجد بحال فـى ديـن يجعل العلم فريضة شرعية والفكر عبادة سامية ويسوى بين مداد العلماء ودماء الشهداء . ويكفى أن أول سورة من القرآن تأمر بالعلم قال تعالى [اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلـق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم][٤] .

---

(١) سورة النحل آية رقم ٩٠

(٢) سورة الحديد آية رقم ٢٥

(٣) سورة هود آية رقم ١١٢

(٤) سورة العلق الآيات من ١ ــ ٥

وقد فضل العلماء وشرفهم حيث قال عز وجل [شهد الله إنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط][١] .

قال القرطبى ــ رحمه الله ــ فى تفسيره : هذه الآية دليل على فضل العلم وشوف العلماء ، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله ــ تعالى ــ باسمه واسم الملائكة كما قرن العلماء . وقال فى شرف العلم لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ [وقل رب زدنى علماً][٢] فلو كان شئ أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه أن يسأله المزيد منه كما أمره أن يستزيد من العلم[٣] .

والطغيان الاقتصادى : ذلك الذى يتحكم فى موارد وأرزاق البشر ويستذلهم بالعمل المجانى فى إقطاعيات الكرادلة والقساوسة ويفرض الضرائب الباهظة على الأمم والأفراد لحساب خزانة الفاتيكان ، لا وجود لمثله فى الإسلام مطلقاً وقد أخبر الله عز وجل عنه حيث قال [يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل][٤] وقد نهانا الله عز وجل عن أكل أموال الناس بالباطل حيث قال تعالى [ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل][٥] .

وكذلك الطغيان السياسي : الذى يستذل الحكام لأشخاص رجال الدين ، ويعرض الشعب لطائلة عقوبة الحرمان العام بسب نزوة غضب تعترى أحد البابوات ويسخر الناس ويكبل ما منع الله للإنسان من حق الحياة الحرة لم يكن مثله فى الإسلام أبداً .

ومن هنا يمكن القول بأن العلمانية جاءت كرد فعل للتجاوز الكنسى ولحكم الكهانة ، وتحكم طبقة الكهان ، وبذلك تكون العلمانية " حلاً غريباً " لـ " مشكلة غربية " وهذه المشكلة ــ الكهانة والكهنوت ــ ووجود طبقة رجال الدين ، واحتكار هذه الطبقة لشئون الحكم ــ هى مشكلة لم تعرفها الحضارة الإسلامية ولا تاريخ المسلمين ، لأن الإسلام يرفض ذلك كله من الأساس .

---

[١] سورة آل عمران آية رقم ١٨

[٢] سورة طه آية رقم ١١٤

[٣] تفسير القرطبى ص ١٢٨٣

[٤] سورة التوبة آية رقم ٣٤

[٥] سورة البقرة آية ١٨٨

ولذلك يبدو شذوذ الدعوة إلى العلمانية ــ فى الواقع الإسلامى باعتبارها دعوة إلى " حل " ليست له (مشكلة) فى عالم الإسلام ؟ ! وحتى يموه العلمانيون على الناس شذوذ دعوتهم هذه نجدهم يشوهون صورة الإسلام ، وتاريخ الإسلامى ، حتى يصبح الإسلام مثل النصرانية ، يدع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ... وحتى يصبح تاريخ الخلافة الإسلامية كهانة وكهنوتاً ، وكأنهم ــ بهذا التمويه ــ يفتعلون " مشكلة " ليفتعلوا لها " حلاً " ... وذلك بدلاً من الاعتراف بتميز الإسلام عن غيره ، وتميز تاريخ المسلمين السياسى عن كهانة وتاريخ الغرب وحكم كنيسته بما عرف لديهم بالتفويض والحق الإلهى .

مراحل العلمانية وتطورها :

بعد قيام الثورة الفرنسية نجد أن الدين قد انفصل عن الدولة ، واصبح للدولة مجال وللكنيسة مجال ، وأن مجال الدولة هو الشئون السياسية والاقتصادية ، والتعليمية والتشريعية وأن مجال الكنيسة هو شئون الأسرة فى مراسيم الزواج وطقوس الوفاه ونظام الرهبنة والاكليروس .

وكان معقل الصراع الذى تدور حوله رحى الحرب هو الكنيسة الكاثوليكية ، وأما المكان الذى تدور فيه المعارك وحلبة الصراع مرتع الثورات الذى انطلق منه الثائرون هو ألمانيا وإنجلترا وفرنسا ، والأخيرة كانت هى المرتع الخصب الذى خطط له اليهود لتنبت فيه أول دولة علمانية ، أو إن شئت فقل : هى البقعة التى تكون فيها ساعة الصفر بالتعبير العسكرى .

وقد مرت العلمانية فى التفكير الأوربى بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : مرحلة العلمانية المعتدلة وهى مرحلة القرن السابع عشر والثامن عشر ، وكانت العلمانية فيها تعنى فصل الدين والكنيسة عن شئون المجتمع ومؤسساته لحساب بناء الدولة البرجوازية وفى سبيل دعمها والسعى لتصفية اللاهوت المسيحى الكاثوليكى وتنقيته مما هو غير عقلانى ... من مثل أسرار عقيدة التثليث والطبيعة الإلهية للمسيح ــ

عليه السلام ــ والعمل على رفع الوصاية الدينية الكنيسية عن التعليم تمكيناً للفطرة الإنسانية من الاختيار[١] .

وإن هذه المرحلة وإن اعتبر الدين أمراً شخصياً لا شأن للدولة فيه . فإن على الدولة مع ذلك أن تحمى الكنيسة ، وبالأخص فى جباية ضرائبها ، وإن طالب التفكير العلمانى فى هذه المرحلة بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة ، فإنه لا يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها وإن كان ينكر فيها بعض تعاليمها ، ويطالب بإخضاع تعاليم المسيحية للعقل وإلى مبادئ الطبيعة .

ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة للعلمانية فى التفكير الأوربى : الفيلسوف الإنجليزى لوك (١٦٣٢ ــ ١٧٠٤ م) فهو يرى : أن الدولة الحديثة التى رفعت شئونها كل وصية للكنيسة .. تنظر إلى كل اعتقاد دينى على أنه رأى شخصى وإلى كل رفقة فى الدين على أنها ترابط حر ، يجب أن يتحمل وأن يدافع عنه ، طالما لا يهدد نظام الدولة بالإقلاق أو التخريب .

وقد شارك ليبنز (١٦٤٦ ــ ١٧١٦ م) " جون لوك " كى يكون الوحى المسيحى مطابقاً للعقل ، فى وجوب حذف بعض التعاليم المسيحية ، كعقيدة التثليث ، وعقيدة الطبيعة الإلهية الإنسانية للمسيح ن على أن يصبح الوحى الإلهى للإنسان عامة هو القوانين والمبادئ وليس ما وراء الطبيعة[٢] .

ومن فلاسفة هذه المرحلة أيضاً الفيلسوف الإنجليزى توماس هوبز (١٥٨٨ ــ ١٦٧٩) وهو يرى أن الدولة هى المصدر الوحيد للقانون والأخلاق وكذلك الدين ، ويقول فى شأن ذلك " لهذا أعلن أن سلطة الدولة العليا لها الحق فى أن تفصل هى فى بعض التعاليم : هل هذه التعاليم تحتمل بالنسبة لطاعة المدنيين للدولة أم لا ؟ فإذا كانت لا تحتمل فيجب تحريم انتشارها[٣] .

---

[١] العلمانية ونهضتها الحديثة د / محمد عمارة ص ١٢ ط : دار الشروق .

[٢] العلمانية والإسلام د / محمد البهى ص ١٩ ، ٢٠

[٣] المرجع السابق ص ٢١ باختصار

وفى فرنسا ظهر الفيلسوف جاك روسو (١٧١٢ ــ ١٧٧٨) وهو يتفق مع هوبز فى إبعاد الدين عن الدولة ، وعن التربية على وجه الخصوص[١] .

وأما الفيلسوف الإنجليزى ديفيد هيوم (١٧١١ ــ ١٧٧٦ م) فهو مع كونه ملحداً ينكر الله ، كما ينكر خلود الروح ، إلا أنه كرجل من رجال التقاليد فى إنجلترا .. يبقى على اعتبار الدين كإيمان فقط ، فالدين فى نظره ليس علماً ، وإنما هو إحساس فقط ، إحساس بالإيمان . بموجود قوى فوق الإنسان ، هو إحساس ناشئ عن تغير موجات الحياة ، وظلام القدر ، والترقب المخيف ، والقلق من المستقبل ، وبالأخص بعد الموت والوثنية هى الصورة الأولى لهذا الإيمان[٢] .

ومن فلاسفة هذه المرحلة أيضاً الفيلسوف ليسنج (١٧٢٩ ــ ١٧٨١) والدين فى نظر ليسنج ليس شيئاً نهائياً ، ولكنه مرحلة يقوم عليها طريق الحياة الإنسانية ، والأديان كلها تقع فى مجال التطور ، ويجب أن تخطو إلى ما هو أفضل وأحسن ... وليست هناك حقيقة أبدية لا تنقضى ، وإنما هناك سعى نحو الحقيقة[٣] .

وفى هذه المرحلة الأولى للعلمانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ــ هذه المرحلة التى تعتبر معتدلة نوعاً ما عن المرحلة الثانية ــ تكمن دوافع الفصل بين الدولة والكنيسة ، أو بين الدين الدولة فى الأسباب الآتية :

أولاً : الحرص على سيادة الدولة سيادة مطلقة فى مواجهة سلطة الكنيسة ووصايتها السابقة فى القرون الوسطى على الإنسان كما هو واضح عند (هوبنز) .

ثانيا : إخضاع العقيدة المسيحية للعقل وحذف بعض تعاليمها التى تتنافى مع العقل مثل عقيدة التثليث ، وعقيدة الطبيعة الإلهية الإنسانية للمسيح ، كما يرى فى فلسفة (لوك ، وليبنز) وفى محاولتها مع آخرين بتصفية المسيحية على أساس من منطق العقل .

---

(١) العلمانية والإسلام د / محمد البهى ص ٢٤

(٢) المرجع السابق ص ٢٤

(٣) المرجع السابق ص ٢٧

ثالثاً : النظر إلى الدين فى التربية على أنه ضد " الطبيعة " كما فى نظره " روسو " إليه بناء على تعاليم المسيحية بالخطيئة الموروثة .

رابعا : اعتبار الدين أمراً متطوراً ، وليس بنهائى ، كما يراه " ليسنج " وبالتالى حقائقه حقائق متغيرة وقابله للنقض[1] .

المرحلة الثانية للعلمانية :

هذه المرحلة تقع فى القرن التاسع عشر وهى مرحلة العهد المادى ، أو مايسمى بالثورة العلمانية " مرحلة الجناح اليسارى وهى العلمانية المتطرفة وقد بلغت قمتها فى التطرف فى الفكر المادى التاريخى .

ومن اشهر رجال هذه المرحلة الفيلسوف الألمانى " فيرباخ " (١٤٠٨ ــ ١٨٧٢) ويعتبر من أهم المؤسسين لفكرة الثورة العلمانية فى القرن التاسع عشر وهو يرى ضرورة الانتقال بالإنسان من الدين إلى المادية المتطرفة . وعجل الإطاحة بالثنائية بين الدين والدولة ، وجعل المادية التى اعتنقها تحل محل الإيمان بالدين الإلهى ، وقد أنكر الدين ورفض الإيمان بالغيب وزعم أن الموجود هو المحسوس فقط وما عدا ذلك ليس بموجود فى نظره .

وهو يرى أن الإنسان هو الموجود الإلهى ، وليس الله . والدين الجديد هو : السياسة وليس المسيحية والسياسة يجب أن تكون ديناً ، ولكن لا يتحقق ذلك إلا إذا كان هناك شئ أعلى فى نظرنا يحول السياسة إلى دين وهذا الشئ ، الأعلى هو الإنسان ، ولكن ليس الإنسان الفرد ، لأن الإنسان الفرد يظل دائماً إنساناً أرضياً مفتقراً ، ولذا يجب تكون (جماعة العمل) هى المعبود وفى مكان القَادة .

والله والدين ليس أى منهما أساس الدولة ، وإنما أساسها الإنسان وحاجته ، ليس الإيمان بالله ولكن الشك فى الله يجب أن يكون العامل على قيام الدولة والإيمان الذى يجب أن يتوفر هو:إيمان الناس بذواتهم أنفسهم وببعضهم بعضاً ، لأنه إذا بقى الله هو: السيد

---

[1] العلمانية والإسلامية د / محمد البهى ص ٢٧

والرب.. فإن الإنسان سيظل واثقا به ، بدلا من أن يثق بالناس والباقى لنا هو الإنسان وحده.

ولهذا فالدولة هى مضمون الواقع كله ، هى الطبيعة العامة أو الإنسانية هى الحامية والواقعية للإنسان . وبهذا تصبح الدولة مناقضة للدين ، وأن الإلحاد العملى هو الرباط بين الدولة .

ويقول فيرباخ : والناس يلقون بأنفسهم على السياسة فى الوقت الحاضر لأنهم يعرفون أن المسيحية كدين تشل فاعلية الإنسان السياسية [١] .

تلك هى علمانية فيرباخ فهى تقوم على القضاء على الدين ـ أى دين ـ نهائيا وإحلال المادية المحسوسة محل الدين وإن الإنسان يحل محل الإله وأن الدين ليس أساس الدولة وإنما أساسها الإنسان وحاجته .

وقد تأثر بآراء " فيرباخ " كارل ماركس وتحول مع زميله إنجلز إلى الجناح اليسارى المتطرف لفلسفة هيجل الذى كان يميل إلى الإلحاد أكثر منه إلى الإيمان فى شبابه ولكن بعد أن تقدمت به السن ، وانحصر عن ظلم الشباب بدأ يقول بالمطلق الذى رمز به إلى الله ، وأخذ يقول : أن العالم له مدبر واحد واجب الوجود .

ولهذا فقد قسم المؤرخون والفلاسفة نظيرة هيجل عن الله والكون إلى قسمين وتبعا لهذا التقسيم انقسم أتباعه إلى اليمين واليسار الهيجلى لأخذهما بفلسفته المتطرفة عن الإله[٢].

وأن ماركس قد تأثر بفلسفة هيجل ، ثم عن طريق تأثره بفيرباخ تحول إلى اليسار المتطرف لفلسفة هيجل . وقد درس الاشتراكية أيضا فى فرنسا وتعرف هناك على " إنجلز " وعن طريقه ذهب إلى إنجلترا ، ودرس المشاكل الاقتصادية ، كما تأثر بالأوضاع الاجتماعية السيئة التى كانت للطبقة العاملة هناك ، وفى فبراير سنة ١٨٤٨ م وضع البيان الشيوعى فى لندن فى مدينة بروكسل ، بالاشتراك مع إنجلز .

---

(١) العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق د / محمد البهى ص ٣٠

(٢) قصة الفلسفة ـ ول ديورانت ـ ص ٥٠٩

وقد بنى مذهبه المادى على أسس أهمهما :

١ــ لا وجود لفكرة إله ولا وجود إلا للمادة وحدها .

٢ــ الصراع الطبقى للوصول إلى مجتمع لا طبقى . أى المادية الجدلية التى تعنى الصراع بين الظواهر المادية وما فيها من تناقضات حتى تصل إلى الشيوعية وكلما تقدم المجتمع خطوة نحو الهدف ــ الشيوعية ــ سمى ذلك تقدما وهو ما يعانيه الشيوعيين بكلمة التقدم والتقدمى .

٣ــ الدين أفيون الشعوب وسبب التأخر .

٤ــ المادية التاريخية ويعنى لا أثر للفكر أو الدين فى التاريخ وتطوره ، ولكنها المادة هى التى تتولى تطويره . والمادة التى تقصدها الماركسية ليست مادة بعيدة عن النشاط الإنسانى ، فالمادة هى التى تحدد ــ فى رأيه ــ النظر إلى العالم ، أو إلى التاريخ ، وكذلك ما يحدد ــ على العموم ــ التفكير والعلم ، والسلوك للإنسان .. هى مادة متصلة بنشاط الإنسان ، أو هى إنسان فى صلته بالمادة (هى الاقتصاد) .

٥ــ إلغاء الملكية الفردية .

٦ــ حكومة البلوريتاريا أى العمال ، فهو يدعو الطبقة العاملة ــ أى عمال المصانع ــ إلى الثورة الدموية على بقية الطبقات ، وإلى ضرورة إقامة دكتاتورية طبقة البوليتاريا ، ويعنى بها الطبقة الكادحة والأجيرة ويرفض كل إصلاح يأتى عن طريق سلمى ، وهذه النظرية تقوم على اجتثاث الدين من الجذور ، واعتبار أن الله خرافة ، ولا وجود له ولا للرسل والملائكة والكتب المنزلة واليوم الآخر ولا لأية قيمة روحية ، لأن المادة عنده هى كل شئ[١] .

ويرى ماركس أن هدم المسيحية مقدمة ضرورية لبناء عالم يكون الإنسان فيه سيد نفسه ، ولكن لا ترفض المسيحية وحدها ، بل يرفض كل دين كذلك[٢] .

---

[١] إسلام لا شيوعية د / عبد المنعم النمر ص ١٩ ــ ٢٠ بتصرف ط : مكتبة غريب

[٢] العلمانية والإسلام د / محمد البهى ص ٣٥

وجاء من بعد ماركس تلميذه المخلص لينين الذى احتضن نظرية ماركس وفكرته ، واستطاع أن يؤسس الدولة الماركسية الشيوعية الأولى لأول مرة فى تاريخ الفكرة وذلك فى سنة ١٩١٧ م فى روسيا .

ولينين هو الذى حول الماركسية عقيدة للحزب وأصبحت الماركسية تسمى البلشفية فى عالم السياسة بينما تسمى بالمادية الاستنتاجية فى عالم الفلسفة ، والبلشفية إذن هى " الدين الجديد " بديلا عن المسيحية .

وقد كتب لينين فى مقال له تحت عنوان " الإشتراكية والدين " : أن الدين هو أفيون الشعب ، وأن الدين نوع ردئ من خمرة العقل التى تحجب ذاكرة الأرقاء لرأس المال عن أن يعوا وجه إنسانيتهم ، ومطالبهم فى وجود إنسانى ، على منتصف طريق الإنسانية[١] .

وإذ يوافق لينين على أنه يجب أن يكون الدين أمرا شخصيا ــ كما هو معتاد أن يقال فى دائرة الماركسية ــ فإنه يوافق فقط بالنسبة للدولة ، ووضعها ، أما الحزب فيجب أن يمارس أعضاؤه الإلحاد ، إذ الحزب عدو لدود للدين ، أما الدولة فيجب أن تكون محايدة على معنى أنها لا تهتم بالدين ، وأن لا ترتبط به ، وأن يكون عديم المغزى لديها بالنسبة للمواطن فلا تسأله عن مذهبه الدينى ، وحياد الدولة بالنسبة للدين هو انفصال كامل بين الكنيسة والدولة[٢] .

تلك هى أهم معالم المرحلة الثانية من مراحل العلمانية وهى مرحلة العلمانية المتطرفة أو ما يسمى بمرحلة اليسار المتطرف فى مدرسة هيجل ويمكن أن نستخلص منها ما يلى :

أولا : أن علمانية : فيرباخ " وهى التى تتمثل فى مذهبه الإنسانى الإلحادى ، هى إلغاء الدين ــ أى دين ــ وليست فصلا بينه وبين الدولة بمفهوم العلمانية فى مرحلتها الأولى ، وإحلال الإنسان العام " جماعة " العمل فى العبادة محل الله .

---

[١] العلمانية والإسلام ص ٤١

[٢] المرجع السابق ص ٤٢

ثانيا : أن علمانية ماركس ــ وهى التى تتمثل فى المادية التاريخية الإلحادية ــ هى : هدم الدين كمقدمة ضرورية لقيام عالم يكون فيه الإنسان سيد نفسه ، وتنتهى سيادة الإنسان إلى سيادة المجتمع والدولة ، ووضعها بالنسبة للإفراد هو وضع المعبود الخالق من الأفراد والمخلوقين .

ثالثا : أن علمانية " لينين " ينتهى أمرها إلى إلغاء المسيحية كدين ووضع " والبلشفية " ــ وهى الماركسية اللينينية ــ كدين جديد بدلا منها ، وهذا الدين الجديد يجب أن يكون فى خدمة " الواقع " الذى هو " الحزب " والحزب يأخذ الآن فى هذا الدين الجديد مكان " العبادة " عوضا عن الله فى المسيحية ، ومكان القداسة عوضا عن الكنيسة .

المرحلة الثالثة من مراحل العلمانية :

ظهرت هذه المرحلة فى القرن العشرين فى غر ب أوربا وهو جناح غير المقلدين من الذين يستخدمون الاختبار والامتحان فى قبول النظريات أو فى رفضها ، وهم يوصفون بالمرتدين تنديدا لهم لأنهم رجعوا عن بعض أفكار ماركس ونظرياته ، إذ وجدوها تقوم على ادعاءات لا دليل عليها ومن ثم تنازلت لعض الأحزاب والمنظمات عن المادية التاريخية من الحزب الاشتراكى الديمقراطي فى ألمانيا والمنظمات العمالية الاشتراكية فى فرنسا وبلجيكا وإيطاليا وإنجلترا واسكندنافيا .. وهم يبحثون الآن على تحسين الوضع العمالى على مبادئ فلسفية واقتصادية أخرى .

وكما انتهت المادية التاريخية عمليا عند هذه الأحزاب والمنظمات انتهت كذلك فى ميدان البحث العلمى ، وبالأخص جعل الاقتصاد أساس الحياة الإنسانية فى جميع اتجاهاتها إذ تبين للباحثين عكس ذلك .

كذلك الدين عند الهنود والصينيينَ واليهود لم يقم على أساس اقتصادى ، كما يحاول ماركس أن يشرح كل شئ فى الوجود ــ حتى الدين والأخلاق والفكر ــ من الاقتصاد ، ولكن الفكرة الدينية وحدها فى هذه الأديان الثلاثة هى التى حددت البناء الاجتماعي لشعوب هذه الأديان[1] .

---

[1] المرجع السابق ص ٢٧ ــ ٢٩ باختصار وتصرف .

وخلاصة القول : أن العلمانية بدأت مخططها أولا بفصل الدين عن الدولة ولكنها لم تقتصر على ذلك بل امتد مخططها ليستهدف إبعاد الدين عن الدولة وعن كل ميادين الفكر والحياة ، ويقتضى ذلك أن تخلو دساتير هذه الأمة من أى انتماء دينى ، أو جعل شريعة الدين مصدرا لقوانينها[١] .

دور اليهود فى نشر العلمانية :

إن المرء إذ ما طالع على التراث الفكرى اليهودى المتمثل فى العهد القديم أو التلمود أو بروتوكولات حكماء صهيون يجد أن اليهود أمة الضلال والكفر منذ أن وجدوا على مسرح التاريخ فهم أساس كل البلايا التى أصابت الإنسانية وهم أيضا وراء كل تزييف لحق بالمعتقدات الدينية الصحيحة ولا يخفى على أحد أثرهم فى تحريف الديانة اليهودية وكذلك طمس الديان النصرانية بزعامة بولس اليهودى . وما قام به عبد الله بن سبأ اليهودى من إدخال عقيدة الرجعة عند بعض طوائف الشيعة ، ثم إن سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية كانت على أيدى اليهود قبل تأسيس إسرائيل . فهم لا يستطيعون العيش فى ظل الأديان الصحيحة لأنها تتعارض ورغباتهم المادية الصرفة ، من أجل ذلك كان رأيهم طمس معالم الأديان الصحيحة ، ولما كان الإسلام هو الدين الحق الذى لا يقبل أى دخيل استغلوا فرصة بعد أتباعه عنه بانغماسهم وجريهم وراء الحضارة الغربية المادية كان ذلك من أعظم الفرص لليهود أن ينشروا سمومهم خارج الوطن المسلم ثم يصدرونه فيما بعد على أنه وافد حضارى قدم إلى المسلمين من العالم المتمدين .

ففى ألمانيا ظهر الشاعر " نيتشه " وهو يهودى الجنس اتخذ العلمانية مذهبا ودعا الناس إلى فصل الدين عن الدولة ومن بعده " فيرباخ " مؤسس أول مدرسة علمانية فى ألمانيا ، وكانت عقيدته عدم الاعتراف بالأديان السماوية " إذ لا يمكن للإنسان عنده أن يدرس مرحلة الانتقال من دين أرضى بعيد عن السماء إلى المادية المتطرفة "[٢] .

---

[١] سقوط العلمانية ـ أنور الجندى ص ٢٤

[٢] العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق د / محمد البهى ص ٣٠

وكان ينادى بفضل الدين عن الدولة ، ومن المؤسف أن اليهود الذى تبنوا العلمانية ونادوا فى المجتمعات الغربية بفضل الدين عن الدولة وقد نجحوا فى مخططهم هذا فى النصرانية هم أنفسهم أصحاب هذا المذهب الإلحادى أقاموا دولتهم على الدين اليهودى المحرف وضللوا كل البشر .

ومن بعده جاء " كارل ماركس " فتمذهب بهذا المذهب وذهب إلى بروكسل واتفق مع " إنجلز " سنة ١٨٤٨ على إنشاء الفلسفة المادية وفى بروكسل ألف المؤلفات المتعددة فى الفلسفة المادية ، ويرى ماركس أن أتباع الدين شقاء وسلب لفكر الإنسان فى تنمية العيش مع عالم أفضل لا وجود له فى عالم الحس وأن المادية هى بداية ونهاية العالم "[١] .

واستمرت فلسفة " كارل ماركس " المستقاه من " هيجل " و " إنجلز " حتى بداية القرن العشرين ثم تبعه " لينين " فى روسيا وهو الذى حول عقيدة " ماركس " إلى دستور للحزب الحاكم فى روسيا .

أخذ " لينين " يدعو إلى التخلص من قيود الأديان ويعتبر الدين خمرة العقل فهو يقول فى إحدى خطبه أما آن الأوان أن تتخلص الطبقة العاملة من الرق لرأس المال تحت تأثير خمرة العقل يقصد ذلك الدين[٢] .

وبالجملة فاليهود ــ عليهم اللعنة ــ هم وراء كل الفتن فهم أخبث أهل الأرض جميعا ، وهم أحقر الأمم وأخس الشعوب وكل من عرفهم يعرف أنهم أوضر[٣] الأمم نبزة وأبردهم طلعة ، وأتمهم خبثا . وأكثرهم غثا ، وأجبنهم نفوسا وأشدهم مهانة ، وأكذبهم لهجة ، وأضعفهم همة ، وأرعنهم شمائل ، بل إن نفسَية اليهودى تنطوى على خصائص بالغة التعقيد ، وصدورهم تموج بحقد طافح على الناس جميعا ، ولا يرون لأنفسهم راحة أو سعادة إلى على أنقاض الآخرين ، ولا يستريحون إلا بالدس والكيد والتآمر والبغى والتخريب والغدر والانتقام . فاليهود هم أخبث أهل الأرض جميعا وأشدهم كفرا ونفاقا .

---

(١) مجلة : منار الإسلام ص ١٨ عدد مارس سنة ١٩٨٥ م

(٢) المرجع السابق ص ٧١

(٣) الوضر محركة ــ وسخ الدسم واللبن وغسالة السقاء ونحوهما

أهداف العلمانية :

العلمانية مذهب إلحادى يهدف إلى تغريب المجتمع بالكامل تمهيدا لإلحاقه النهائى بالحضارة الغربية وضرب الإسلام وهدم قيمه وتعاليمه وعاداته وتقاليده وتماسكه ، وصولا إلى تحويله لمادة خام يعاد تشكيلها على الأسس المضادة للإسلام والمنقولة عن الغرب .

لقد زحفت العلمانية إلى المجتمع الإسلامى وتسلطت على فكره كأداة خطيرة وقوة محتشدة تحملها أدى القوى المتصارعة على السيطرة العالمية والمجتمعة على هدف أساسى هو القضاء على الإسلام أو لأنه الصخرة العاتية التى إذا تحقق النيل منها فقد أنفسح الطريق أمام تلك القوى للسيطرة العالمية ، ولهدم الدين الحق الذى حفظه الله بحفظه تعالى لكتابه الذى ارتضاه دينا عالميا لكل البشر بل للإنس والجن ، لما اشتمل على أسلوب الحياة ، ومن هنا كان خطر العلمانية من حيث هى أداة وسلاح تستعمله القوى المعادية فى السيطرة على الإسلام .

تلك القوى التى تعلم علمن اليقين أن أمة الإسلام هى الأمة التى أقامها القرآن ، تلك الأمة التى لا يمكن أن تخضع أو تسلم أو تحتوى مهما بلغت شراسة عملية التغريب والحصار والاحتواء[١] .

إن محاولة تقبل المفهوم العلمانى عن طريق التغريب فى البيئة الإسلامية إنما هى أخطر محاولة لضرب أكبر قواعد الإسلام وهى قاعدة الإسلام دين ودولة أو " عقيدة وسياسة " وإحالة الإسلام إلى دين كنسى لاهوتى منفصل تماما عن مفاهيم السياسة والاقتصاد والاجتماع التى هى أكبر مقرراته وأعظم معطياته بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع .

والعلمانية ترفض اعتبار الدين أساس لحياة الجماعات البشرية وأساسا من أسس القومية وأنها تدعو إلى الاعتماد إلى الواقع الذى تدركه الحواس ونبذ كل ملا تؤيده التجربة والتحرر من العقائد الغيبية[٢] .

---

[١] مجلة منار الإسلام نوفمبر ١٩٨٧ م ص ٩٣

[٢] سقوط العلمانية أنور الجندى ص ١٧

العلمانية فى الغرب :

لقد كانت الدعوة العلمانية وليدة المجتمع الغربى إذ قامت على فصل الدين عن الدولة وإقصاء الشريعة المسيحية عن واقع الحياة . فكفرت أوربا بالله وعبدت المادة وألقت بالزهد المسيحى وآمنت بالشره اليهودى ، ورفضت أن تخضع نظمها الاقتصادية للدين فى أى صورة من الصور ورضيت بعبادة فلاسفة الاقتصاد والحكم بما تمليه أهواؤهم فكان إلزاما عليها أن تدفع ضريبة ذلك من أمنها وطمأنينتها ، وأن تنتكس إلى مستوى الحياة البهيمية ، حيث نسى الإنسان روحه وأظلم قلبه ، وتبلد إحساسه ، وغرق فى المتاع الحسى حتى غفل عن حكمة خلقه وسر وجوده ومصيره المحتوم فى الحياة الآخرة .

إن الأوربى لم يعرف من الأديان السماوية الصحيحة شيئا ــ لأن المسيحية التى بين أيديهم محرفة واليهودية كذلك وأن الإسلام وهو الدين الصحيح المحفوظ من التحريف لم يؤمنوا به ــ فهم لم يعرفوا إلا دينا وضعيا واحدا إيجابيا هو التعبد للرقى المادى .

وأما على الجانب الثقافى فنتيجة ذلك خلق نوع بشرى تنحصر فلسفته الأخلاقية فى مسائل الفائدة العلمية ، واسمى ما يفرق بين الخير والشر عنده إنما هو التقدم المادى[1] .

وقد شملت العلمانية جميع نواحى الحياة الأوربية ، فكانت هناك علمانية فى الحكم ، وعلمانية فى الاقتصاد ، وعلمانية فى الاجتماع والأخلاق وغير ذلك من نواحى الحياة المختلفة . وسوف نلقى الضوء على أهم تلك المسائل .

١ــ علمانية الحكم :

أقام دعاة العلمانية الحكم فى أوربا على ثلاث نظريات هى :

أ ــ النظرية الخيالية .

ب ــ نظرية العقد الاجتماعى .

ج ــ نظرية الحق الإلهى .

---

[1] الإسلام فى مفترق الطرق ــ عمر فروخ ص ٤٧

النظرية الخيالية :

تقوم هذه النظرية على أساس أن الدين ليس هو المنهج الذى تقوم عليه الحياة ولا الأساس الذى تنبثق منه كل التصورات والقيم ن بل إن الانسجام العقلى والمصلحة الدنيوية المجردة هما الدعامة التى بنت النظرية عليها مجتمعاتها اللادينية ، وأوحت إلى أنه من الممكن قيام حياة بهيجة متكاملة بلا دين .

هذا وقد عرفت النظرية الخيالية قديماً من الفكر الاغريقى وبخاصة فى جمهورية " أفلاطون " حيث كان الفلاسفة يهربون من الواقع السيئ إلى عالم الخيال ويبنون من الأوهام والتخيل مجتمعات مثالية أو مدناً فاضلة تتمتع بالوئام والإيثار المتناهى والمساواة الكاملة فى جو ملائكى حالم .

نظرية العقد الاجتماعى :

قد أوحت هذه النظرية إلى الناس بفكرة جديدة هى " الوطنية أو القومية " إذ أن العقد إنما يكون بين الإنسان والمجتمع الذى يعيش فيه وتتفق مصالحه مع مصالح الفرد ورغباته ، لا مع مجتمعه آخر بعيد مهما كانت قوة الصلة الدينية به . فهى تهدف إلى نزع ولاء الفرد من الكنيسة وإعطائه للدولة ، وإلى قطع الروابط الدينية ليحل محلها الروابط الوطنية كما أنها جعلت القيمة العليا للمصلحة المادية .

نظرية الحق الإلهى :

تقوم هذه النظرية على أن الملوك من سلالة عريقة خاصة أسمى من العنصر البشرى المشترك . وأنهم من نسل الآلهة " كما فعل أباطرة الروم " وظلت أوربا ترزح تحت ظل عبادة آلة من البشر الإمبراطور والبابا . الأول يدعى أنه له الحق فى حكم الناس وفق مشيئة ويخضعهم لهواه ، والثانى يبارك خطواته ويلزم الشعب بإطاعته لأن ذلك يأمر به الله ــ كما يزعم ــ وتمليه عليه السماء[1] .

---

[1] العلمانية لسفر الحوالى ص ٢١٦

والحق الذى لا مرية فيه أن الحكام الذين مارسوا الطغيان متسترين بهذه الدعوى هم أبعد ما يكون عن تنفيذ القانون الإلهى . وأن نظرية الحق الإلهى ليس على حق فيما تضفيه على حكامها من القداسة المصطنعة والعمل حسب تفويض الله وكما تمليه السماء كما يزعمون .

علمانية الاقتصاد :

كانت مسألة الاقتصاد من أهم المسائل التى تصدت لها العلمانية فى القرن الثامن عشر إذ كانت الكنيسة تقر النظام الاقطاعى السائد وتقر الاضطهاد الفظيع الذى كان يتعرض له أرقاء الأرض رغم تنافيه مع تعاليم الأناجيل ، لكنها مسألة الربا كانت أكثر تشدداً وكانت العقيدة المسيحية فى الربا أكبر العقبات فى نمو النظام المصرفى وتقدمه ، فألغت الدول الغربية ما وضعته من قوانين لتحريم الربا وأصبح تحريم الكنيسة للربا كلاماً مهملاً يتفق الناس جميعاً على إغفاله وعدم العمل به[1] .

وأقامت اقتصاداً عالمياً يجعل الربا والاحتكار الذين حرمتهما الشرائع قاطبة عموده الفقرى ، وموضوعه الرئيسى ، مما ينذر بوقوع كارثة محققة على البشرية .

لقد رفع العلمانيون شعاراً السياسة الاقتصادية لدى الغرب هو تحقيق أكبر ربح بأية وسيلة.

ومنذ ذلك الحين جرد الاقتصاد تجريداً كاملاً وواعياً من أى مؤثر أو صبغة دينية أو أخلاقية ، واختفت من موازين الاقتصاد ومباحثه كل كلمة من كلمات الحق والعدل المجردين فضلاً عن الحلال والحرام . وأقنعوا أنفسهم تماماً بأن الدين ــ إن كان ــ شئ شخصى لا علاقة له بشئون الحياة مطلقاً .

علمانية العلم والفكر :

لقد اندفع تيار أهوج فى كل القنوات الفكرية والعلمية فى أوربا تيار يريد أن يجرف كل شئ اسمه دين أوله علاقة بهذا الاسم ويمحو كل أثر من أثاره وكانت غاية من يسمون أحرار الفكر هو الدفع بهذا التيار إلى الأمام ما أمكن وبسرعة أقصى ، لا لأن ذلك ما يمليه عليه المنهج العلمى وحرية الفكر ، بل نتيجة رد الفعل المتهور ضد الكنيسة ، وكان شعار

---

[1] قصة الفلسفة ــ ول ديورانت ١٤/١٥

العلمانيين فى ذلك ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين ، إلا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ حليف الدين .

العلم هو وحده الحق والحكم وهو مصدر النور كما هو منبع الرفاهية ، أما الدين فجمود ورجعية وخرافات وأساطير .

الدين شئ والعلم شئ آخر لا علاقة بينهما إلا التضاد ، وكلما حدث تقدم فى العلم والمعرفة استخدم هذا التقدم للقضاء على الدين ودك أسسه باسم العلم .

ونجح المغرضون والهدامون من الموتورين بطغيان الكنيسة من اختلاق وخصام بين الدين والعلم وزحزت حقائق وقيم الدين من ميدان العلم والبحث وظل العلم يمارس فى دائرة مغلقة لا علاقة لها بدين أو خلق[١] .

بل وصلت بهم الحماقة إلى حد أن اعتبروا مجرد ذكر اسم الله فى البحث خروجاً من الروح العلمية ، وإفساداً لمنهج البحث ، بل انهم يعدونه مبرراً لطرح النتائج العلمية كلها ولو كانت صحيحة كلها واعتبروا أن اعتقاد العالم بوجود الله الخالق كفيل بإخراجه من دائرة العلماء وطرح الثقة بأبحاثه كلها مهما كانت صحيحة بمقياس العلم الذى يؤمنون به إلها من دون الله[٢] .

وكان من نتاج فصل الدين عن العلم أن استخدم العلم فى الدمار الذى يهدد البشرية صباح مساء نتيجة الكشوف فى ميدان الذرة والحرب عموماً .

وهناك كثير من النتائج السيئة إلى جلبها الصراع المشئوم بين العلم والدين فى أوربا ، وقد كان لهذا الصراع ظروفه وأسبابه الخاصة فى مواجهة الكنيسة التى وقفت حجر عثرة أما العلم باسم الدين .

علمانية الأخلاق :

قد كفرت أوربا بالأخلاق الدينية ، كما كفرت بالدين ، ونبذ المجتمع كل مقوماته المستمدة من هذين المصدرين وأصبحت القيم العليا فى المجتمع الوربى هى القيم المادية

---

(١) العلمانية لسفر الحوالى ص ٣٥٩

(٢) مذاهب فكرية معاصرة ــ محمد قطب ص ٤٨١

النفعية والتعامل الاجتماعى قائماً على الروابط المصلحية ، ولم يعد للأخلاق قيمة ذاتية ، وإنما يحكم على أى تصرف وتعامل من خلال ما ينتج عنه عملياً من المصلحة النفعية ، فماذا جنت المجتمعات الغربية من ذلك كله ؟ لم تجن من وراء ذلك إلا التفكك والانحلال والحيرة والضياع وانحلال المقاييس الأخلاقية حتى أصبح النساء يطالبن بالمساواة بين الرجل والمرأة فى الفساد[١] .

ويصبون اللعنة على المجتمع الذى ينكر زنا الفتاة ، ويغض النظر عن الجريمة نفسها بالنسبة للرجل يقول " برترأندرسل " يجب أن يعالج الجنس من البداية كشئ طبيعى ومبهج وتحشم ثم يقول " إن الفتيات لهن نفس الحق فى المعرفة الجنسية كالفتيان "[٢] .

ومن ذلك شاع فى البلاد العلمانية : زواج المجموعة .

وابتدأ حل زواج الأخ بأخته .

وأصبح من حق التلميذ والتلميذة أن يعرفا فى مراحل الدراسة ــ منذ الثامنة ــ صور المعاشرة الجنسية والحمل وتطور الجنين حتى الولادة من أفلام ورسوم تعرض عليهم .

كما أصبح من حق الشباب والشابات زيارة معارض جنسية تقام فى أماكن عامة يطلعون فيها على الصور المتنوعة للجنسين ، وعلى كتب الجنس ، وأفلام الحب "المكشوفة" كما يسمونها .

وزواج التجربة ــ وهو المعاشرة الجنسية بين الفتى والفتاة قبل الزواج وقد لا يصل الأمر بعد ذلك إلى الزواج ــ تقليد مسلم به الآن فى البلاد العلمانية ، سواء فى الشرق أم فى الغرب ، وقلما يعترض عليه أبو الفتاة أو أمها .

والزنا لم يعد سبباً لطلاق الزوج من زوجته فى الدانمارك باعتبار أنه أمر شخصى[٣] .

---

(١) إن الإسلام قد سوى بين الرجل والمرأة فى الزنا سواء كانا محصنين أم غير محصنين ، فإن كانا غير محصنين أى متزوجين أو سبق لها الزواج وزنيا فعليهما الرجم ، وإن كان أحدهما محصن والآخر غير محصن فعلى الزانى المحصن الرجم وعلى الزانى غير المحصن الجلد مائة جلده ، وإن كانا غير محصنين فعل كل واحد منهما الجلد مائة جلدة ويغرب الذكر سنة عن وطنه أما الأنثى فتغريبها حبسها فى دارها عام

(٢) فى التربية " برترأندرسل " تحقيق سمير عبده ص ٧٤ ط : بيروت

(٣) العلمانية والإسلام د / محمد البهى ص ٦٤

تلك مقتطفات سريعة عن واقع الحياة الأوربية وقد اتضح من خلالها أن الغرب أضحى علمانياً فى كل شئ فى عقيدته وعلمه واقتصاده وأخلاقه وفنه وثقافته وغير ذلك من جوانب الحياة .

وقد نشأ جيل تحت ظل العلم المادى ، ورضع من ثدى الفلسفة المادية ، ولا يعرف عن الكنيسة واللاهوت إلا قشرة رقيقة منحصرة فى الطقوس الدينية . وتنظيم الطلاق أو كما يسمونه الانفصال عن الزوجة ، وعليه فإن العلمانية تعنى فى الغرب مجموعة من المبادئ والأفكار تدعو إلى قيام الحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والأخلاقية ونظام الدولة ، كل هذه النظم تدعو العلمانية إلى قيامها على أسس غير دينية ، وبالتالى فهى تدعو إلى محو الأديان من حياة الناس كلها ، بل وحتى من أذهانهم كمعتقد[1] .

ولكن هل تم محو الكنيسة بالفعل فى الغرب والقضاء على سلطانها ، أم أن الدول العلمانية الغربية ما زالت ترعى المسيحية كدين ، والكنيسة كسلطة دينية . وأن العلمانية ـ فى الوقت الحاضر ـ موجهة أصلاً ضد الإسلام . ذلك ما سنجيب عنه فيما يلى :

العلمانية فى التطبيق :

إن تطبيق العلمانية فى البلاد الأوربية اتسم بالآتى :

أولا : أن البلاد الأوربية التى أخذت بفكرة العلمانية فى مرحلتها الأولى : لم تزل ترعى المسيحية كدين ، بالإسهام ـ من ضرائب الدولة ـ فى مساعدة التعليم الدينى فى مدارس الجمعيات الدينية ، وهى لا تحول إطلاقاً دون أن ينتشر التعليم الدينى فى المدارس الخاصة وإن كانت لا تعد كثيراً بالمساعدات الدينية خشية من احتكاك السلطات الدينية المتعددة مع الدول ، إن بدأ أنها تؤثر مثلاً بقليل أو بكثير بعض الكنائس دون بعض ، على نحو ما عليه الوضع فى الولايات المتحدة الأمريكية . فالدولة الاتحادية تعترف بثلاث سلطات دينية : سلطة الكنيسة الإنجيلية وسلطة الكنيسة الكاثوليكية وسلطة الحاخامات اليهودية . ولم تزل تدخل نفسها ضد ما يظن أنه يمس شئون الكنيسة من قريب أو بعيد .

---

[1] نشأة العلمانية ـ محمد زين الهادى ـ ص ٤٤

وكذلك لم تزل الدول العلمانية الغربية ترعى المسيحية كدين ، والكنيسة كسلطة دينية بالحرص على جباية الضرائب الخاصة بالكنيسة عن طريق أجهزتها الإدارية ، وعلى حماية أملاكها وتمكينها من مباشرة رسالتها .

وهدف الدولة العلمانية فى فصلها عن السلطة الدينية هو ــ إذن ــ اتقاء الاصطدام معها ، وليس محاولة تخريب قيمها الدينية ، ولا محاولة الاعتراض على ما تراه السلطة الدينية من واجبات وطقوس وشعائر .

وحتى رجال الدولة أنفسهم فى ممارستهم السياسية العامة للمجتمع يخضعون فى ظروف معينة لملاءمة أنفسهم مع تقاليد الكنيسة ، ولى سبيل المثال : دوق أوف وندسور ، وأنتونى إيدن ، فى إنجلترا : كلاهما اضطر إلى ترك الوظيفة العامة أو إلى عدم السعى إليها ، لأن سلوك كل منهما فى حياته الزوجية لا تتفق مع ما تراه الكنيسة من تقاليد فى الزواج .

والجنرال ديجول فى فرنسا أقال وزير التربية والتعليم الاشتراكى فى وزارته الأولى ــ بعد أن عاد للحكم فى المرة الثانية ــ بسبب عدم موافقة الوزير على مساعدة المدارس الدينية فى فرنسا من مدارس الجزويت ، والفرير ، بمبلغ ستين مليونا من الجنيهات الإسترلينية فى ميزانية سنة ١٩٦٣ م من غير حق التفتيش عليها من قبل وزارة التربية[١] .

ثانيا : يلاحظ أن إلغاء المسيحية فى الشرق الأوربى وتعويضها بالبلشفية تحقيقا للعلمانية ــ بمفهوم الاستئثار والتفرد بالسلطة فى الدولة ــ لم يحقق الهدف الذى استهدفته الماركسية اللينينيه حتى الآن ، وهو تحويل البلشفية إلى دين الدولة ليرتبط به المواطنون من أى مجتمع اشتراكى دون أى رباط آخر من النزعة إلى القومية ، أو الميل إلى الدين السائد قبل التحول الاشتراكى ، فالقوميات وكذلك الاتجاهات الدينية السابقة ، ما زالت تلعب دورها فى تعويق سير العالمية التى تشيد بها الثورات الماركسية .

---

(١) العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق د / محمد البهى ص ٦١ ، ٦٢

إن النزعة القومية ظلت قائمة وقوية ، وأن مظهر العالمية التى قصدت إليها العلمانية بمفهوم إلغاء المسيحية : هو مظهر يفرضه سلطان القوة فى الدولة ، وليس تعبيراً عن التحول إلى الماركسية ، وهو دستور يتلى وليس واقعاً يحس[١] .

ثالثا : فى الدولة الإسلامية :

يلاحظ أن تركيا هى الدولة الإسلامية فى الشرق التى أعلنت العلمانية الغربية كأساس لسياستها الجديدة ، منذ تولى " مصطفى أتاتورك " السلطة فيها بعد الحرب العالمية الأولى ، والسياسيون فى الغرب على الخصوص ــ ومعهم المستشرقون فى بحوثهم وكتاباتهم ــ يشيدون بتقدم صناعى علمى فيها ، ويعودون بأسبابه إلى دخول تركيا مجال الغرب بدون إسلام ، ففصلها بين الإسلام كدين ــ والدولة ، هو العامل فى نظرهم الذى قربها من الدولة المتطورة .

إن تركيا فى قبولها للعلمانية كانت مجبرة فى تسوية الصلح الذى دار وراء الكواليس مع الحلفاء بعد انتصارهم فى الحرب العالمية الأولى ، وقصد الحلفاء من إعلان تركيا للعلمانية ، وفصل الإسلام عن الدولة ــ وهى مركز الخلافة الإسلامية ــ أمرين :

الأمر الأول : إلغاء الخلافة الإسلامية ، كأداة تجميع للمسلمين : عرب وعجم على السواء فى آسيا وأفريقيا ، إذ سيترتب على إلغاء الخلافة إمكان تمزيق المسلمين إلى عرب ينطقون بالعربية ، وغير عرب ينطقون بلغاتهم الوطنية ، وعندئذ يمكن التبشير بالقومية العربية كذلك لتوسيع الهوة بين المسلمين .

ثم لكى لا تكون للقومية العربية فاعلية وبعد العرب عن غير العرب من المسلمين ــ ويتضح ذلك بقيام " جامعة دول عربية " لتؤكد سيادة كل دولة عربية فى مواجهة دولة عربية أخرى ــ وبذلك يضعف الترابط على أساس اللغة العربية والتى اعتبرت وحدها ــ دون الإسلام ــ حجر الزاوية فى مفهوم القومية العربية ، وشأن العرب الآن بعد قيام الجامعة العربية يساوى شأن غير العرب من المسلمين فى تفرقهم على أساس لغاتهم الوطنية العديدة.

---

[١] المرجع السابق ص ٦٥

وإبعاد المسلمين غير العرب عن العرب بالتبشير بالقومية العربية بعد إلغاء الخلافة الإسلامية ، ثم إضعاف فاعلية القومية العربية بين العرب من جديد بقيام جامعة دول عربية يؤكد استقلال كل دولة ، ويلاحظ أن هذا وذاك ، كان مقدمة ضرورية لعزل فلسطين عن قوة المسلمين مجتمعين ، وعن قوة العرب ــ وحدهم ــ مجتمعين كذلك ــ كان تمهيداً لقيام دولة إسرائيل .

الأمر الثانى : الذى قصده الحلفاء المنتصرون فى الحرب العالمية ــ وهم أصحاب العلمانية ــ من إعلان تركيا للعلمانية ، عزلها عن التراث الإسلامى ، وتكوين أجيالها القادمة فى بعد عن الصلة بالإسلام وعن العرب معاً . وببذلك تصبح تركيا المسلمة قريبة إلى الغرب فى ميوله واتجاهاته ، على نحو ما أبعد الإسلام من أسبانيا ومن البلقان ومن جزر البحر الأبيض المتوسط ، ولكى يتم التحول عن الإسلام كانت كتابة اللغة التركية بحروف لاتينية بدلاً من الحروف العربية .

والتقدم الصناعى والعلمى فى تركيا العلمانية لم يكن بسبب الفصل بين الدين والدولة أى لم يكن بسبب إبعاد الإسلام عن شئون الدولة ، وما تجر إليه مبادئه ــ كما يقال ويدعى ــ من التخلف ــ وإنما كان مكافأة من الغرب والشرق على السواء لتركيا على إبعادها للإسلام كما كان أولاً وأخيراً بسبب المساعدات الأجنبية التى قدمت لتركيا من جانب الاتحاد السوفيتى فى الشرق ، والولايات المتحدة الأمريكية على الخصوص من الغرب ، وهى مساعدات اقتصادية وفنية وعلمية ، لتتحول إلى نموذج بين البلاد الإسلامية.

فالاتحاد السوفيتى ــ سابقاً روسيا حاليا ــ له مصلحة داخلية وخارجية فى كون تركيا بلداً علمانياً : فمصلحته الداخلية فى إخضاع البلاد الإسلامية الآسيوية ، وفى بلاد القوقاز على الخصوص لـ " الأيديولوجية " الجديدة وهى " أيديولوجية البلشفية " أو أيديولوجية إلغاء الدين " والإيمان بالدولة وحدها . فإذا أصبحت تركيا بلداً علمانياً ــ ومعظم المسلمين فى بلاد القوقاز هم من الأتراك ــ كان من اليسير على الأجيال الناشئة لهذه البلاد أن تخضع للدين الجديد ، لا بحكم الجوار ولا لصلة القرابة فقط ، وإنما : لأن تركيا التى كانت مركز الخلافة وكانت على رأس الإمبراطورية الإسلامية قد أعلنت عزل

الإسلام عن شئون الدولة ، وأخذت لنفسها طريقاً جديداً فى الحياة ، وهو طريق ممهد على الأقل للعلمانية الماركسية ، إذن لابد أن يكون الإسلام عامل تخلف هكذا المنطق !!

وللاتحاد السوفيتى ـ سابقا وروسيا حالياً ـ مصلحة خارجية فى كون تركيا بلداً علمانيا ، هى إمكان التأثير بهذا النموذج على بلاد آخر إسلامية مجاورة من آسيا : كإيران وأفغانستان ، فتضعف من علاقتها بالإسلام ، وبذلك يصبح مجالاً حيوياً للاقتصاد والأمن السوفيتى والاحتلال الروسى القيصرى لإيران فى فترة من الزمن ، وحمله على إنشاء البهائيين أو البابيين فيها تخريباً للقيم الإسلامية ... يعلن عن مدى التطلع الروسى إلى هذه البلاد الإسلامية منذ وقت طويل قبل الثورة البلشفية فى سنة ١٩١٧ م .

والغرب له مصالح اقتصادية عديدة واستثمارات مالية كبيرة فى البلاد الإسلامية فى آسيا وأفريقيا ، ومن شأن قبول هذه البلاد للعلمانية يسهل للغرب طريق الحركة فى سبيل الاستغلال الاقتصادى ، سواء أكان من مصادر الثروة أم من دائرة الطاقة البشرية ، وكتاب " الإسلام قوة الغد العالمية " لبول شمتز (سنة ١٩٣٦ م) يوضح فى غير لبس إمكانيات البلاد الإسلامية من الثروة الأرضية والمعدنية ، وتكاملها ، وطاقة المسلمين فى الخصوبة الجنسية ، ويسر الارتباط بينهم على الإيمان بالله ، وينذر أوربا بالفناء ، إن هى مكنت المسلمين من التجمع واستخدام هذه القوى الثلاث ، ونداء هذا الكتاب الموجه إلى الأوربيين بالإنذار يعبر عن عمق الرغبة الدينية فى الحيلولة دون تجمع المسلمين على الإسلام[١] .

ومع كون تركيا بلدا علمانياً يفصل بين الإسلام والدولة فإنها بشأن حرية الأفراد فيها فى ممارسة العبادة الإسلامية .. لا تقل عن أى دولة إسلامية أخرى لا تعلن الفصل بين الدين والدولة[٢] .

تلك هى العلمانية فى التطبيق فالبلاد التى أخذت بفكرة العلمانية ما زالت ترعى المسيحية كدين والكنيسة كسلطة وتحافظ على نشر التعليم الدينى وتمويله ورعايته . بل وإن حملات التبشير تعمل بلا ملل ليلاً ونهاراً سعياً وراء تنصير العالم أجمع وبالأخص

---

[١] العلمانية والإسلام د / محمد البهى ص ٦٦ ـ ٦٩

[٢] المرجع السابق ص ٧٠

تحويل الجاهلين من المسلمين إلى النصرانية ، وإن الحملات المسعورة التى يقوم بها المبشرون والمستشرقون بغية النيل من الإسلام وتشويه عقائده والطعن فى الكتاب والسنة ليس لهم هدف من وراء ذلك إلا هدم الإسلام فى قلوب المسلمين والقضاء على عقائده وشرائعه .

إن أوربا تعلم تمام العلم أن أقوى ما يقلق راحتها هو التمسك بالدين الإسلامى وبكتابة القرآن الكريم ، وقد وقف رئيس وزراء بريطانيا فى عهد الملكة فكتوريا ممسكاً بالقرآن فى يده قائلاً : ما دام هذا الكتاب باقياً فى الأرض فلن يقر لنا قرار فى بلادهم[1] .

موقف الإسلام من العلمانية :

إذا كان مفهوم العلمانية يعنى اللادينية فمعنى ذلك أنها لا تلتقى مع الإسلام ، لأن الإسلام دين والعلمانية إلحاد ، والإلحاد هو إنكار للدين فكيف يلتقى السلب والإيجاب فى آن واحد .

والإسلام لا يعرف المجتمع المقدس ويرفض الكهنة والكهنوت ، فلا يمكن أن يتقبل العلمانية ، وإنما الإسلام دين ودولة ، فلا يمكن فصله عن الدولة ، لأنه لا تستقيم الدنيا إلا بالدين ولا يمكن تحقيق سعادة الدارين إلا بإتباع الدين لأنه منهج الحياة .

وإن الإسلام منهج متكامل فى جميع جوانبه ونظرته للأمور نظرة شاملة ففيه تنظيم علاقة الفرد مع نفسه وأسرته ، ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، فيه البيان الكامل المتكامل والقواعد التى تقوم عليها النظم والقوانين التى تحكم مسيرة المجتمع والبشرية .

وإن الإسلام دين ودولة وقد أقام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدولة الإسلامية وكانت أفضل الدول وأحكمها وأعدلها . ومن يزعم أن الإسلام ديناً بلا دولة فقد خالف شريعة الإسلام ونقض إجماع المسلمين .

وأن الشيخ " على عبد الرازق " عضو هيئة كبار العلماء وقاضى شرعى بمحكمة المنصورة سابقاً عندما قال فى كتابه " الإسلام وأصول الحكم " أن الإسلام رسالة روحية فقط أى دين بلا دولة ما كان جزاؤه إلا إخراجه من زمرة العلماء وطرده من عمله .

---

(١).مذاهب فكرية معاصرة ـ محمد قطب ص ٤٥٦ ط : دار الشروق .

وتلك هو نص حديث الشيخ على عبد الرازق حيث قال : إن الإسلام دين لا دولة ، ورسالة روحية لا علاقة له بالسياسة الدنيوية وعمارة الكون وتنظيم المجتمعات ، وأن نبى الإسلام ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يؤسس دولة ولم يرأس حكومة ، ولم يؤسس مجتمعاً ولم يدع إلى شئ من ذلك ، بل كان رسولاً ما عليه إلا البلاغ فقط دون التنفيذ[١] .

وعندما صدر هذا الكتاب أجتمع : هيئة كبار العلماء بصفة تأديبية بمقتضى المادة الأولى بعد المائة من قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م فى دار الإدارة العامة للمعاهد الدينية يوم الأربعاء ٢٢ من المحرم سنة ١٣٤٤ هـ (١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ م) برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ "محمد أبى الفضل" شيخ الجامع الأزهر ، وحضور أربعة وعشرين عالماً من هيئة كبار العلماء[٢].

وبعد الإطلاع على كتاب " الإسلام وأصول الحكم " للشيخ على عبد الرازق ، المطبوع فى مطبعة مصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ الموفقة سنة ١٩٢٥ م والعلم بما تضمنه من الأمور المخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة[٣]

صدر الحكم ونصه : حكمنا نحن شيخ الجامع الأزهر بإجماع أربعة وعشرين عالماً معنا من هيئة كبار العلماء بإخراج الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر ، والقاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب " الإسلام وأصول الحكم " من زمرة العلماء[٤] .

ويترتب على هذا الحكم محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى ، وطرده من وظيفته وقطع مرتباته فى أى جهة كانت ، وعدم أهليته للقيام بأى وظيفة عمومية دينية أو غير دينية .

---

[١] الإسلام وأصول الحكم ــ على عبد الرازق ص ٥١ تعليق محمد عمارة ط : الشروق .

[٢] رؤية كبار العلماء على كتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق ص ٩ تقديم د / السيد تقى الدين

[٣] المرجع السابق ص ١٥

[٤] رؤية كبار العلماء على كتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق ص ٤٦ تقديم د / السيد تقى الدين ــ هدية مجلة الأزهر عدد ربيع الأول ١٤١٤ هـ .

تلك هى عقوبة من يتبع التيار العلمانى ويخالف شريعة الإسلام . يقول الشيخ محمد الخضر حسين : إن التغريب والافتتان بالغرب ومقولات كتابه ونظريات فلاسفته وتصورات مستشرقيه هو الذى جعل الشيخ على عبد الرازق ينظر إلى الإسلام فى قضية الدولة والسياسة بالمنظار الذى نظرت به النهضة الأوربية إلى المسيحية الكاثوليكية ، فيرى الخلافة استبداداً وحكماً بالحق الإلهى وكهانة تجعل الحاكم نائب عن الله لا يسأل عما يفعل .. ويرى الإسلام ديناً لا دولة ، ورسالة روحية يا بعد ما بينها وبين السياسة وتنظيم المجتمعات .. إنه تقليد الغرب ذلك الذى جعل صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم) يرى الإسلام مسيحية تطلب أن تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ! فهو التغريب وليس التجديد[١]

ويقول الشيخ الخضر : إن شارع الإسلام يقصد إلى أن يكون للمسلمين دولة ذات صيغة دينية ورياسة غير منفصلة عن الدين ، فالإسلام دين وشريعة وسياسة وعلى الدولة أن تضع سياستها فى صيغة إسلامية لأن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام إجتماعى[٢].

ويقول الأستاذ الدكتور محمد رجب بيومى : أما القول بأن الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الحياة الدنيا ، فالعجب ممن يصدقه لا يقل عن العجب ممن يقوله ، لأن كل قارئ لكتاب الله أو سامع يعلم ما يتحدث به القرآن فى جل سورة من شئون هذه الحياة ، فكيف تكون الشرِيعة روحية وكتاب الله يأمر بالحكم بما أنزل الله ، ويتحدث عن أحكام البيع والرهن والربا والدين والوصية والزواج والطلاق واللعان والظهار والميراث والقصاص والدية وقطع يد السارق وجلد الزانى وإعداد العدة للحروب ومسائل القتال والسلام ومالا نستطيع حصره فى صفحة من هذه الصفحات ، أجاءت هذه الأحكام ليرمى بها فى الطريق دون تنفيذ ؟ هذه بعض ما فى كتاب الله ، فكيف بما امتلأت به كتب السنة المطهرة من شرح هذه الأحكام وتفصيل مجملها وتوضيح ما قد يشكل عن مدلولها والقيام على تنفيذها دون استجابة لشفاعة عزيز وإن يكن حب رسول الله وابن حبه[٣] .

---

(١) نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم لشيخ الإسلام / محمد الخضر حسين ص ١٨٩ ط : الشروق مطبوع تبع كتاب معركة الإسلام وأصول الحكم د / محمد عمارة .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) الإسلام وأصول الحكم فى الميزان د / محمد رجب بيومى ص ٣٣

وإن الشيخ على عبد الرازق قد تراجع عن قوله إن الإسلام دين بلا دولة . وقد جاء ذلك فى حديثه لمجلة (رسالة الإسلام) العدد الثالث من السنة الثالثة الصادر فى رمضان ١٣٨٠ هـ الموافق يوليو ١٩٥١ م حيث قال فى حديثه : إن فكرة روحانية الإسلام لم تكن لى رأياً يوم نشرت البحث المشار إليه[١] ولكن ابنة الشيخ على عبد الرازق ــ مدرسة الفلسفة بجامعة عين شمس ــ كتب مقالاً بصحيفة الوفد نفت فيه تراجع أبيها عن آرائه الواردة والواضحة فى كتاب الإسلام وأصول الحكم[٢] .

ولكن قد ذكر الشيخ محمد الغزالى رحمه الله ــ أن على عبد الرازق كان يصلى خلفه الجمعة بالجامع الأزهر وقال عنه قد " أعرب لى فى العديد من اللقاءات عن أسفه وندمه الشديد إزاء ما جاء بكتابه ، وأنه قد عدل عن موقفه الوارد فيه وخاصة فيما يتعلق بروحانية الإسلام فقد أكد لى ــ أى الشيخ الغزالى ــ أنه لم يقصد ذلك على الإطلاق لأن الإسلام ليس كهنوتياً ولأنه دين ودولة[٣] .

ونخلص من تلك المسألة بأن : الإسلام دين ودولة وأن الدولة جزء من رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الدكتور عبد الرازق السنهورى : يمتاز الإسلام بأنه دين ودولة وقد أرسل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا لتأسيس دين فحسب ، بل لبناء قواعد دولة تتناول شئون الدنيا فهو بهذا الاعتبار مؤسس الحكومة الإسلامية ، كما أنه نبى المسلمين ، وهو بصفة كونه مؤسس حكومة كانت له الولاية على كل من كان خاضعاً لهذه الحكومة ، سواء كان مسلماً أو غير مسلم ، وبوصف كونه نبياً لم يكن يطلب من غير المسلمين ــ من الذين تركهم على دينهم ــ الاعتراف بنبوته ، ولو أن دعوته عامة لجميع البشر[٤] .

---

(١) المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣

(٢) جريدة الشعب الصادرة يوم الثلاثاء ٢٥/يناير ١٩٩٤ م ــ الصفحة التاسعة .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة والموضوع . ويذكر أن الشيخ على عبد الرازق دخل مرة ثانية فى زمرة العلماء ، وذلك بعد أن تولى أخوه الشيخ مصطفى عبد الرازق مشيخة الأزهر عام ١٩٤٥ م .

(٤) الإسلام والسياسة والرد على شبهات العلمانيين د / محمد عمارة ص ٨٢ ط : دار الرشاد .

وبالجملة فإن الإسلام بمبادئه السمحة وتعاليمه الرشيدة لم يكن فى حاجة إلى مثل هذه الأفكار المستوردة التى تجعل الدين فى واد والدولة فى واد آخر ، أو تجعل الدين خرافة ومخدر للشعوب ، إن الإسلام دين من عند الله ــ يجب أن يظل كما أراد الله له ، والعلمانية فكر مستورد ظهر فى أوربا كرد فعل خاطئ لدين محرف وأوضاع خاطئة كذلك ، وأنها نبات نكد خرج من تربة خبيثة ونتاج سيئ لظروف غير طبيعية .

يقول المولى عز وجل [والذى خبث لا يخرج إلا نكداً][1] فأوربا نكبت بالكنيسة وديانتها المحرفة وطغيانها الأعمى ، وسارت أحقاباً من الدهر تتعثر فى ركابها ، ثم انتفضت عليها وتمردت على سلطانها فانتقلت إلى انحراف آخر وسارت فى خط مضاد إلا أنه أعظم خطر وأسوأ مصيراً[2] .

ظهرت العلمانية فى أوربا كدعوة للاعتماد على مصدر واحد للمعرفة هو العقل ، ورفض تام لسائر المصادر الأخرى وعلى رأسها الوحى الذى جاءت به الأديان السماوية جميعاً وعلى هذا فلا يخدلنا القول بأن العلمانية تقوم على العلم ، لأن العلم بمفهومه الشامل يقوم على استغلال طاقات الإنسان والكون بما يتيح للبشرية مزيداً من السعادة والرخاء ، وبما يعطى للحضارة عوامل حركتها وديمومتها ، العلم بمفهومه هذا ليس سوى فاعلية فى غاية الأهمية فى المجتمعات التى ترفض الدين أو المنهج الإلهى طريقة لها فى الحياة[3] .

وكلمة العلم فى الدين الإسلامى وردت فى القرآن الكريم بمصطلح على الدين نفسه الذى علمه الله أنبياءه ، وعلى النواميس التى يسير الله بها ملكوته العظيم وعلى الحقائق الكبرى الموجودة عند الله سبحانه فى أم الكتاب ، وكإشارة إلى القيم الدينية التى تنزلت من السماء ، ومن ثم يغدو العلم والدين سواء فى لغة القرآن قال تعالى : [ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير][4] وقال عز وجل [ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءكَ من العلم إنك إذا من الظالمين][5] .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٨

(٢) العلمانية سفر الحوالى ص ٦٤٨

(٣) تهافت العلمانية ــ عماد خليل ص ٢٧ ط : مؤسسة الرسالة

(٤) سورة البقرة آية ١٢٠

(٥) سورة البقرة آية ١٢٥

وقال جل شأنه [والراسخون فى العلم يقولون آمنا به][١] وقال تعالى [شهد الله أنه لا إله إلا هو الملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط][٢] .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تحض على العلم وتعلى من قدر العلماء . فالدين لا يناقض العلم ، ولا يناهضه ما دام العلم لا يستنير بالخروج عن إطار الدين ومقوماته ، وما دام العقل ينشط بنظره فى المجال الممنوح له من الدين ، فالدين يعصم العقل والعلم من الزيغ والشطط والخروج عن المثل العليا والفضائل والقيم السامية التى بها تكون سعادة الدارين .

إن الدين هو الذى بصر الإنسان وحركه وهيأ له الأرضية الصالحة لبناء أروع الحضارات عرفها التاريخ التى أمدت عالم الغرب فيما بعد بطرائق لا حصر لها فى ميادين البحث والتجربة والتعليم والتحضر وأتاحت له أن يصل إلى العصر التكنولوجى الحاضر ، ولكن شتان ما بين علم وحضارة منبعهما دين وتوافق وبين علم وحضارة يصنعهما رجال لم يعرفوا عن الدين شيئاً ، ولم يؤمنوا إلا بهذا العالم المادى المحسوس عالم الحياة الدنيا .

نعم إن الدين الذى انسلخت منه المادية المعاصرة دين فاسد ، لأنه دين من صنع البشر ، دين لا يصلح للحياة وعلى هؤلاء لكى يتوجوا عملهم الذى انسلخوا به إلى مشارف الرشد أن يبحثوا عن الدين الحق ، الدين الذى يؤمن العقيدة الصحيحة فى الله والمنهج الصالح للحياة .

الدين الذى يؤمن بالمحسوس والغيب ، ولم يوجد فصاماً بين الإيمان والعقيدة والإيمان والعلم ، بين العمل والعبادة بين التقدم المادى والحضارى والالتزام بالقيم الإنسانية ، الدين الذى يؤمن العدل السياسى والعدل الاجتماعى والعدل الاقتصادى ، والذى يؤمن فى الوقت ذاته التجدد والنمو فى الحياة البشرية .

---

[١] سورة آل عمران آية ٧

[٢] سورة آل عمران آية ١٨

وحين يعتنق هؤلاء الغرب هذا الدين فلن يحتاجوا إلى التخلى عن تقدمهم العلمى والمادى ولا شئ من عبقريتهم وجلدهم على العمل والإنتاج[١] .

الإسلام أطلق لنا العنان فيما يتعلق بالعلم المادى بالقيد الذى ذكرناه ولابد أن نغترف منه أينما وجدناه ولكننا لا نغترف فحسب وإنما نغترف ونطور ونخترع فيه ، ونبتدع ونكون من المنشئين له المطورين له ، نكون من أعلامه ، بل فى قمة أعلامه .

أما فيما يتعلق بالذاتية الإسلامية فإنها تعنى تشريعاً ، وتبنى نظام مجتمع وتعنى نظام عقائد ، وتعنى أخلاقاً فإنه لابد وأن نأخذها من الإسلام ومما يتميز به ، المسلمون أنهم يستمدون دينهم من الأسلوب الإلهى أنهم يأخذونه عن القرآن ، وليس هناك نحلة أخرى أو مذهب آخر يستمد عقيدته أو أخلاقه أو تشريعه عن الأسلوب الإلهى ، إن للقرآن ميزة ضخمة للمسلمين كمصدر الله سبحانه وتعالى فى الأخلاق ، وما رسمه الله سبحانه وتعالى فى التشريع ، ويأخذون بما رسمه الله تعالى فى العقائد وبما رسمه الله سبحانه وتعالى فى نظام المجتمع ، ولا يتأتى مطلقاً لأمة مسلمة أن تحيد عما رسمه الله لها منهجاً ومصدراً لحياتهم ، وإلا تخلت عن رسالتها التى كلفت بها وإذا تخلت عنها فإنها تصبح ولا رسالة لها .

إن الإسلام وحى إلهى معصوم وكل خارج عليه خارج على العصمة ، أما الأفكار والنظريات العلمانية فإنها اختراع بشرى من اختراع اليهود الذين دينهم وشعارهم إفساد الإنسانية ديناً وتشريعاً وأخلاقاً[٢] .

وإن الإسلام يوم أن شدد فى دعوته على التوحيد ومقاومة الشرك فى العبادة قصد إلى رفع الأزدواج الثنائية فى تحديد مصير الإنسان وفى توجيهه وإلى المساواة ــ فيما عدا الله ــ بين الناس فليس بينهم معصوم سوى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والجميع بعد ذلك سواء فى جواز الخطأ والصواب فى تفكيرهم وسلوكهم وتصرفاتهم .

---

[١] مذهب فكرية معاصرة محمد قطب ص ٦٤٩

[٢] مقالات فى الإسلام والشيوعية للإمام الأكبر عبد الحليم محمود ص ٨ ط : دار المعارف

ومعنى ذلك : أنه ليست هناك حكومة إليهة من مجموعة من الناس أيا كان إخلاصهم فى العبادة لله ، وايا كانت منزلتهم منه ، وإذا أخذت بتعاليم القرآن واتبعت مبادئه فى سياستها ، فهى حكومة إنسانية تخضع للصواب والخطأ ، ولذا ـ عند النزاع فى الأمر مع القائمين على شأن الحكومة الإسلامية ـ فالقرآن يطلب العودة بالنزاع بين الطرفين ـ طرف الحاكمين وطرف المحكومين ـ إلى كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى تعبر عنه توضيحاً وتطبيقاً يقول الله تعالى [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذ حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا][1] .

فهنا يأمر القرآن المؤمنين جميعاً من أولى الأمر وغيرهم بأربعة مبادئ :

أولا : بأداء الأمانات إلى أهلها وفى مقدمتها أداء صاحب الولاية العامة أمانة ولاية لمن يولى عليهم ، وبالأخص العمل لما جاء فى كتاب الله .

ثانيا : بمباشرة العدل فى الحكم والقضاء بين الأطراف المعينة فى الخصومة .

ثالثا : بالطاعة لما لله من قوانين ومبادئ فى صور أوامر ، أو نواه ، أو وصايا .. وطبقا لما جاء فى كتابه الكريم وفى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قولاً وعملاً .

رابعا : بالاحتكام إلى ما لله فى القرآن الكريم وسنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مبادئ وأحكام وتطبيق عملى ، عند النزاع بينهم وبين أولى الأمر منهم .

فطلب القرآن رجوع المؤمنين جميعاً إلى ما لله فى الكتاب والسنة ـ ما بين ولى الأمر ومن عداه فى الجماعة ـ يوضح فى غير إبهام إن أصحاب الحكم والولاية العامة فى الجماعة المؤمنة لا يرتفع مستواهم إلى العصمة عن الخطأ ، وإنما يجوز عليهم الخطأ كما يجوز عليهم الصواب فى الشئون الدنيوية .

---

[1] سورة النساء آية ٥٨ ـ ٥٩

وإذا كانت دعوة التوحيد فى الألوهية فى الإسلام تستهدف المساواة ـ فيما عدا الله ـ بين الناس فى الاعتبار الإنسانى ، وفى البقاء فى المستوى الإنسانى وفى المشاركة فى الخصائص الإنسانية من الصواب والخطأ ، فإنه ليس هناك مكان فى جماعة المؤمنين أو فى المجتمع الإسلامى إلى نزاع حول السلطة على أساس أن بعض المجموعات فى المجتمع يتميز عن المجموعات الأخرى على أساس غير إنسانى ، فهذه مجموعة لها قداسة ولقولها عصمة ، وهذه مجموعة أو مجموعات أخرى ليست لها قداسة ، وليس لأقوالها عصمة ن كما هو تصوير مبعث النزاع بين الكنيسة والدولة فى الفكر الأوربى[١] .

وإن سياسة الحكم فى الإسلام تقوم على الشورى وعلى الرعاية وليست على السلطة والتحكم قال تعالى [وأمرهم شورى بينهم][٢] وقال صلى الله عليه وسلم " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " .

وفى الجانب الاقتصادى ينظر الإسلام إلى المال فى ملكيته على أنها ملكية خاصة وفى منفعته على أنها منفعة عامة تأسيساً على مبدأ استخلاف الإنسان على ما لله أصلاً ، والإسلام يختلف بنظرته هذه إلى المال عن نظرة الرأسمالية التى ترى : أن الملكية الخاصة تستتبع المنفعة الخاصة ، وكذلك عن نظرة الاشتراكية فى مفهوم البلشفية التى ترى أن تحقيق المنفعة العامة للمال تستوجب الملكية العامة له أى يستوجب إلغاء الملكية الخاصة .

وفى الجانب الاجتماعى يفرض الإسلام التكافل كعبادة وقربى إلى الله ، يسد حاجة المحتاج ، والوقوف بجانب الغارم فى سبيل مصلحة عامة ، أو تحت ظروف غير إرادية ، وبمعاونة الإنسان على استرداد حريته واعتباره البشرى ، كحق طبيعى له ، وبتعويض المدافع عن المثل العليا للمجتمع ، كما جاء فى مصاريف الزكاة .

وفى مجال الأسرة يحرص الإسلام على التضامن بين أعضائها :

أولا : عن طريق الشورى والرعاية المتبادلة بينهم كمجموعة من المؤمنين .

وثانيا : بالتزام القادر من أعضاء الأسرة بنفقة الضعيف فيها . لصغر فى السن أو لشيخوخة فيه ، أو لعجز أو لحائل يحول دون العمل والسعى فى سبيل الرزق .

---

[١] العلمانية والإسلام د / محمد البهى ص ٤٧ ـ ٤٩

[٢] سورة الشورى آية ٣٨

ثالثا : بإسناد أمر التوجيه وتنفيذ ما استقر عليه الأمر إلى الرجل كزوج أو أب قال تعالى [الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم][1]

فقوامه الرجل فى إرادته فى التوجيه والتنفيذ معاً ، وفى قدرته وطاقته على السعى فى سبيل الرزق والعيش .

وفى جانب التوجيه لا يرى الإسلام الإكراه ، ولا ما يتنافر مع طبيعة الإنسان ، من عوامل التوجيه له ، إنه لا يلزمه بأمر ما ، وإنما يضع أمامه الدعوة إلى مبادئه ، وله مطلق الحرية والمشيئة فى الإيمان أو عدم الإيمان بها قال تعالى [لا إكراه فى الدين][2] وقال [ولو شاء ربك لأمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين][3] فإن من أمن يلتزم من ذاته لما آمن به فى التوجيه ، والسلوك والمواقف ، فلا يلزمه تتبع البوليس ، ولا إرهاب الأجهزة السرية الأخرى ، ولا سلطة القانون ولذا فالدولة فى الإسلام دولة إنسانية أخلاقية وليست دولة بوليسية[4] .

ومن هنا يتضح أن الإسلام هو دين الحق ومن يبتغ غيره ديناً فلن يقبل منه ومردود عليه قال تعالى [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين][5] وقال عز وجل [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون][6] .

إن فكرة العلمانية والدعوة إليها وافد غربى لم ينشأ فى البيئة الإسلامية وهذا الوافد قد أتى مع حركة الاستعمار الأجنبى لبلاد الإسلام ، وكان أداة لها فحاول الاستعمار جاهداً إبعاد أبناء المسلمين عن دينهم بما يملكه من أساليب الخداع والمغالطة والتضليل التى تعتمد عليها العلمانية ، والواجب على كل مسلم غيور على دينه أن يتصدى لمثل هذه

---

[1] سورة النساء آية ٣٤

[2] سورة البقرة آية ٢٥٦

[3] سورة يونس آية ٩٩

[4] العلمانية والإسلام د / محمد البهى ص ٦٠

[5] سورة آل عمران آية ٨٥

[6] سورة الحجر آية ٩

الأفكار الوافدة المستوردة وأن يكشف ما بها من سم قبل أن يستشرى الداء ، وأن يتنبه لألاعيب الاستعمار وما يزينه من أفكار وآراء تحت اسم الحضارة والرقى مما يجعل كثيراً من أبناء المسلمين يقعون فى شباكها وتغرهم مظاهرها .

يجب أن نتصدى جميعاً لهذا الاتجاه بكل الوسائل الفكرية والعلمية حتى نحافظ على إسلامنا وعلى مبادئنا التى تستمدها من تعاليمه ومن مصدرية الشريفين كتاب الله وسنة نبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجب علينا أن نتجه الاتجاه السليم نحو ديننا وحضارتنا وثقافتنا بدلاً من أن نتجه إلى أوربا .

والرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى "[١] .

وفى الختام [ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب][٢]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

[١] رواه الترمذى كتاب المناقب باب ٣١

[٢] سورة آل عمران آية ٨

نتائج البحث التوصيات

١ــ أن العلمانية مذهب من مذاهب الحضارة الغربية الحديثة المعاصرة نشأ كرد فعل لحكم الكنيسة وتحكمها عند حول هذا الحكم الكنسى شئون الدنيا إلى كهنوت دينى مقدس ، الأمر الذى أدى إلى ثبات المتغيرات الدنيوية والفكرية والعملية فدخلت المجتمعات الغربية بسبب هذا الحكم الكهنوتى فى عصور التخلف والظلام حتى جاءت العلمانية كرد فعل داعية إلى عزل الدين عن شئون الدنيا .

٢ــ أن دافع العلمانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر هو التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة ، ولذا كان الفصل بين السلطتين هو الحل الفسلفى أو الرسمى لهذا التنازع

٣ــ أن الدافع إلى العلمانية فى القرن التاسع عشر أو فيما يسمى : بين اليسار الثورى أو المتطرف فى مدرسة هيجل ، هو الاستئثار بالسلطة ، ولذا كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة ، بل كانت إلغاء للثنائية ، بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول إلى السلطة المنفردة ، أو الحزب حسب تحديد بعض هؤلاء اليساريين المتطرفين .

٤ــ أن البحوث الطبيعية والتقدم العلمى بالتدرج منذ نهاية القرون الوسطى هى التى جرأت أرباب هذا الفكر العلمانى على الخروج على وصاية الكنيسة ، وعلى الاستقلال فى النشاط الإنسانى .

٥ــ أن الفكر الفلسفى العلمانى لم يسلم فى أوربا من مواجهة فكر فلسفى آخر معارض ، فقد قامت مدرسة كمبردج بمعارضة هوبز أشد المفكرين العلمانيين صلابة ضد الكنيسة فى مرحلة العلمانية الأولى ، كما قام كثير فى المرحلة الثانية منها بمعارضة المادية عند فيرباخ ، والمادية التاريخية عند ماركس ، وبنقض الأسس الفلسفية التى تبناها الاتجاه المادى المعاصر . سواء أكانت أسساً تنتهى إلى دائرة البحث الطبيعى أو إلى دائرة الاقتصاد وأبرز المعارضين لهذا الاتجاه المادى كتلة المنشقين اليساريين من أتباع " برنشتين " الذى لقبوا من أعدائهم اليساريين بالمرتدين ، ثم ما قام به فى القرن العشرين من معارضته الفيلسوف الاجتماعى الألمانى " ماركس فيبر " لأساس الاقتصاد بصفة خاصة .

٦ــ أن الموطن الذى ولد فيه الفكر العلمانى هو إنجلترا وفرنسا وألمانيا لم يأخذ بالفكر العلمانى فى التطبيق فى الحياة العملية ، فالتاج البريطانى لم يزل حامياً للبروتستانت ، وفرنسا لم تزل حامية للكشلكة فى صورة عملية ، والدولة فى إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا رغم إعلانها أنها دول علمانية تساعد المدارس الدينية من ضرائبها الخاصة التى تجيبها من المواطنين .

والجانب الآخر الذى يتبى البلشفية كدين وسياسة بدل المسيحية فى أوربا الشرقية لم يأخذ منذ الستينات بسياسة التعايش السلمى فقط مع الرأسمالية الغربية وإنما يأخذ كذلك بسياسة حسن العلاقات مع دولة الفاتيكان .

٧ــ من الأفكار التى ينادى بها دعاة العلمانية

ــ عدم الإيمان بالغيب وهو الإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر والإيمان بالمحسوس فقط .

ــ إقامة الحياة على أساس مادى وتطبيق مبدأ النفعية وأن الغاية تبرر الوسيلة .

ــ نشر الإباحية والفوضى واللاأخلاقية وهدم كيان الأسرة باعتبارها البنية الأولى فى الرابطة الاجتماعية .

ــ تربية الأجيال تربية لا دينية وعدم بناء الأخلاق على الدين .

ــ الزعم بأن كل الأديان لا تتلاءم مع الحضارة وتدعو إلى التخلف .

٨ــ أن الإسلام منهاج شامل للدين والدنيا والعقيدة والشريعة والحضارة والأخلاق للحياة الدنيا وللآخرة التى هى خير وأبقى .

وأن العلمانية جاءت كرد فعل للتجاوز الكنسى ولحكم الكهانة وتحكم طبقة الكهان فإنها بذلك تكون حلاً غربياً لمشكلة غربية ليس لها وجوداً فى بلاد المسلمين ، فالكهانة والكهنوت ووجود طبقة لرجال الدين واحتكار هذه الطبقة لشئون الحكم هى مشكلة لم تعرفها الحضارة الإسلامية ولا تاريخ المسلمين لأن الإسلام يرفض ذلك كله من الساس .

٩ــ يجب على المسلمين ــ فى مشارق الأرض ومغاربها ــ أن يتحدوا ويتنبهوا لدينهم وأن يدافعوا عن عقائدهم وشرائعهم المنزلة من رب العالمين ، وليعلم المسلمين جميعاً أن

المسألة ليست مسألة قطر أو دولة ، وليست مسألة محلية أو داخلية ، وإنما هى مسألة العالم الإسلامى بأسره ، وهى مسألة العقيدة الإسلامية ، ولا خير فى ملك الأرض إذا انهارت تلك العقيدة ، وليعلم المسلمون أنه لا هوادة مع الكفر ، ولا مودة مع أعداء الإسلام وليوقنوا أن الله عز وجل ينصر من ينصره مصداقاً لقوله تعالى [ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز] .

هذا وبالله التوفيق وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د / أحمد مصطفى على

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا

المراجـــــــع

١ــ القرآن الكريم .

٢ــ أفاعى العلمانية وأحاديث الإفك ــ سامى نجيب ــ ط : دار التوزيع والنسر الإسلامية .

٣ــ الله أو الدمار ــ لطفى جمعة ــ ط : القاهرة .

٤ــ الإسلام فى مواجهة الإيديولوجيات المعاصرة ــ د / عبد العظيم المطعنى ــ ط : السعادة .

٥ــ الإسلام على مفترق الطرق ــ عمر فروخ .

٦ــ الإسلام وأصول الحم ــ الشيخ على عبد الرازق ــ دراسة وتحقيق د / محمد عمارة ــ ط : دار الشروق مطبوع تبع معركة الإسلام وأصول الحكم .

٧ــ الإسلام وأصول الحكم فى الميزان ــ محمد رجب بيومى ــ هدية مجلة الأزهر صفر ١٤١٤ هـ .

٨ــ الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه ت د / يوسف القرضاوى ــ ط : مؤسسة الرسالة .

٩ــ الإسلام والسياسة والرد على شبهات العلمانيين ــ د / محمد عمارة ــ ط : دار الرشاد

١٠ ــ إسلام لا شيوعية ــ د / عبد المنعم النمر ــ ط ك مكتبة غريب .

١١ــ اتجاهات هدامة فى الفكر العربى ــ د / محمد محمد حسن ــ ط : بيروت .

١٢ــ تهافت العلمانية ــ عماد خليل ــ ط : مؤسسة الرسالة .

١٣ــ تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة ــ أنور الجندى ــ ط : دار الاعتصام .

١٤ــ جريدة الشعب الصادرة / ٢٥ يناير ١٩٩٤ م .

١٥ــ حقائق الإسلام بين الجهل والجحود ــ عبد المجيد صبح ــ ط : دار الوفاء .

١٦ــ حقيقة العلمانية ــ يحيى شاهين .

١٧ــ حضارة أوربا فى العصور الوسطى ــ د / محمد سعيد عمران ــ ط : بيروت .

١٨ـ رؤية كبار العلماء على كتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق تقديم السيد تقى الدين ـ ط : هدية مجلة الأزهر عدد ربيع الأول ١٤١٤ هـ .

١٩ـ سقوط العلمانية ـ أنور الجندى .

٢٠ـ سنن الترمذى ـ ط : مصطفى الحلبى .

٢١ـ العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق ـ د / محمد البهى ـ ط : هدية مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٥ هـ .

٢٢ـ العلمانية علاقتها بالدين والعلم ـ د / جميل محمد أبو العلا ـ مجلة كلية أصول الدين العدد الخامس .

٢٣ـ العلمانية نشأتها وتطورها سفر الحوالى .

٢٤ـ العلمانية ونهضتها الحديثة ـ د / محمد عمارة ط : دار الشروق .

٢٥ـ فى التربية ـ برتر أندرسل ـ تحقيق سمير عبد ـ ط : بيروت .

٢٦ـ قضايا معاصرة فى ميزان الإسلام ـ حسن محمد رقيط ـ ط : ابن حزم .

٢٧ـ قصة النزاع بين الدين والفلسفة ـ د / توفيق الطويل .

٢٨ـ مقالات فى الإسلام والشيوعية ـ د / عبد الحليم محمود ـ ط : دار المعارف .

٢٩ـ مجلة منار الإسلام عدد مارس ١٩٨٥ م .

٣٠ـ من صور الغزو الفكرى ـ د/سلطان عبد الحميد سلطان ـ ط : مطبعة الأمانة .

٣١ـ مذاهب فكرية معاصرة ـ محمد قطب ـ ط : دار الشروق .

٣٢ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ السيد أبى الحسن الندوى ـ ط : مكتبة الدعوة بالأزهر .

٣٣ـ نشأة العلمانية ـ محمد زين الهادى .

٣٤ـ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم لشيخ الإسلام محمد الخضر حسين ط : دار الشروق مطبوع تبع كتاب معركة الإسلام وأصول الحكم د / محمد عمارة .